بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي
المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية
شعبة الفقه وأصوله

بحث لنيل شهادة الإجازة (المتريز) في العلوم الشرعية تحت عنوان:

الصحوة الإسلامية في موريتانيا

إعداد الطالب:
محفوظ بن الوالد

إشراف الأستاذ:
إسلم بن سيد المصطف

السنة الجامعية: 1991 – 1992

رقم الإيداع: 92/513

طباعة وتصميم مكتب الأعمال لبالة فينيسيا هاتف: 5291743

المقدمة:

الصحوة الاسلامية ظاهرة مثيرة وحدث متميزعملاق ، اهم ما يميزه سيطرته على اهتمام ابنائه واعدائه بشكل بالغ ومثير للاهتمام .

وهذا الاهتمام الذي يحظى به هذا الحدث يتجلى على مستويات عدة واصعدة شتى، فهو اهتمام على مستوى الشعوب الاسلامية ،التى رأت في الصحوة منقذها من ضياعها، ومحقق آمالها ، وبلسم آلامها ، فحملتها على الرؤوس واحتضنتها في القلوب

واهتمام على مستوى الكتاب والمفكرين الذين شكلت ظاهرة الصحوة شغلهم الشاغل وهمهم الاول ، من خلال مايصدر حولها من كتب ومقالات وخطب ومحاضرات تتراوح بين المدح المطري والذم المزري، والقسط المطلوب .

واهتمام على مستوى الانظمة والسلطات في العالم الاسلامي التى رأت في هذه الصحوة سالب ملكها ومقوض عرشها فأعملت فيها معاول الهدم ومشانق الاعدام .

واهتمام على المستوى العالمي والغربي خصوصا ، تجسد في الاهتمام الاعلامي البالغ بالظاهرة من قبل الاجهزه المختصة هناك ،حيث شكلت اللجان وعقدت الدراسات المتخصصة ، والكتب المستقلة حول هذه الظاهرة التي يرى فيها الغرب نذير شؤم يعلن نهاية سيادة الرجل الابيض، ويبشر بعهد جديد تكون فيه الغلبة للمسلمين لا للصليبين .

ولا غرابة اذن ان يعمل الغرب معاول التشويه والتشهير بهذه الظاهرة ، واصحابها ، وان يغري بها سفهاءه واتباعه من حكام المسلمين واذناب الاستعمار .

ان بحثنا في موضوع بهذه الدرجة من الاهمية حري وجدير بكل ما يبذل فيه من جهد مخلص، ويستنفد فيه من طاقة جادة ،وذلك ما يجعلني غير نادم على تحمل كل تبعات اخراج هذا البحث ، سواء تلك التي سبقت انجازه واخراجه ،او تلك التي سوف تعقبه وتلحقه .

ان موضوعا مثل الصحوة الاسلامية لهو موضوع مغر وجذاب ،اذا ماكان مادة لحديث صحفي عابر، أ وتعليق اذاعي سادر، غير ان اغراءه يضعف ،وجاذبيته تخف عندما يكون موضوع بحث علمي جاد، يتجرد من العاطفة ليكشف عن الحقيقة.

ومما يزيد الموضوع صعوبة هنا:

اولا: حساسية الموضوع وعاطفيته ، الشيء الذي يجعل من الصعب على صاحبه ان يتجرد من عاطفته تجردا كاملا .

ثانيا : ان هذا الموضوع موضوع بكر في شكله هذا ، لم يبحث من قبل بشكل شمولي يتيح للباحث الاستفادة المطلوبة ممن قبله .

ثالثا: كما ان كثيرا من وثائقه المفترض وجودها ليست موجودة ،والموجود من هذه الوثائق هو ملك خاص لبعض الافراد الذين ليس من الميسور الحصول عليها منهم ، كما ان من اهم هذه الوثائق وثائق سرية لا تسمح الظروف (الديمو عسكرية) بنشرها ، الشيء الذي يفقد البحث ميزة التأصيل المرجعي في هذا الجانب .

وبعد ظهور الوعي الاسلامي المنادي بالبديل والحل الاسلاميين بدات اعراض جديدة تظهر على الامة وتتجلى في ظاهرة جديدة اختلف المفكرون والباحثون في وصفها فبعضهم يصف هذه الظاهرة (باليقظة) الاسلامية في حين يصفها البعض (بالقومة) الاسلامية بينما يصفها آخرون (بالبعث الاسلامي)، غير ان اشهر اوصافها واوسعها انتشارا هو (الصحوة الاسلامية) فهو الوصف الذي اخذه الكتاب والصحفيون وروجوا له من جهة وتلقته (الصحوة) الاسلامية بالقبول والرضى من جهة اخرى ، وان كان البعض يراه إطلاقا اجنبيا جاء للتدليل على الحالة الاسلامية بعد نجاح الثورة الايرانية وما اعقب ذلك وزامنه من غليان اسلامي في المنطقة الاسلامية وغيرها [٤] .

ومهما يكن فان الصحوة الاسلامية اصبحت حقيقة واقعة وأمرا قائما يعترف به الاعداء قبل الاصدقاء ، فقد بدأ تيارها العنيد يغالب تيارات التغريب والعلمانية ويواجه الافكار الالحادية ومخلفات الاستعمار السياسية والعسكرية .....الخ .

ان الصحوة الاسلامية الحديثة جاءت استجابة لتحديات العصر التي واجهت الامة في تاريخها الحديث كما كانت الصحوات التاريخية لهذه الامة تأتي استجابة لطبيعة التحديات التي واجهت الامة في تلك الفترات .

إن (الصحوة) الاسلامية وان كانت جديدة اللفظ في مسامعنا فهي ليست كذلك في المدلول على تاريخنا الاسلامي الحافل بالصحوات واليقظات التي لولاها -بعد الله- لانفرط عقد هذه الامة وانهار بنازها منذ عهد طويل .

لقد عرف تاريخنا الاسلامي صحوات اسلامية كبرى في فتراته المتعاقبة وان كانت هذه الصحوات لم تعرف بهذا الاسم من قبل .

ونحن وفي هذا المدخل الموضوعي والتاريخي نجد لزاما علينا التعرض لهذه الصحوات -ولو بإيجاز- باعتبار ذلك سندا تاريخيا مهما وبعدا زمنيا لا غنى عنه لنا ونحن بصدد البحث عن سند شرعي تاريخي لظاهرة هي اهم ما ميز تاريخ الامة الحديث في جانبه الإيجابي ، حتى لا يكون المصطلح بدعا من التاريخ .

لقد قررنا في بداية هذا المدخل ان الصحوة حالة تقابل النوم او السكر او الجهل الصبياني ومعنى ذلك ان الصحوة لاتكون الا بعد حالة سلبية تعتري صاحبها في عقله اوجسمه او هما معا ، وذلك يؤدي بنا الى انه لا مجال للبحث عن اي وجود للصحوة خلال العهد الاسلامي الاول (عهد النبوة والخلفاء الاربعة) ، ذلك العهد الذي لم يشهد التاريخ البشري عهدا تجسدت فيه تعاليم السماء في حياة الناس مثله .

ان راصد تاريخ الصحوات الاسلامية عليه ان يبدأ مع بداية تاريخ الانحراف الذي يبدأ بشكل جزئي مع بداية العهد الاموي عندما تحولت الخلافة من خلافة راشدة الى ملك وراثي عضود ، وتبدلت من حكم شوري الى تسلط قسري .

---

[٤] مقال لمحمد الغزالي في كتاب الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي ص١٠٠ مركز دراسات الوحدة العربية ط١

لقد بدأ التذمر الاسلامي مع مجيء يزيد بن معاوية الى السلطة بأمر سلطوي من غير شورى ولا أهلية فرفض مجموعة من الصحابة مبايعته منهم ابن عمر وابن الزبير والحسين بن علي (٥) وقد بلغ ذلك التمرد أوجه بخروج الحسين بن علي على سلطة وخلافة يزيد بن معاوية محتجا على توليته مناديا بعدم شرعية خلافته فتوجه من مكة إلى أهل العراق ليأخذ بيعتهم لنفسه فالتفت حوله جموع كثيرة وجدت فيه الخليفة الشرعي ، غير أن القسوة الأموية لم تمهله فقد جهز والي العراق جيشا ضخما لمقابلة الحسين قبل وصوله فالتقى به في كربلاء حيث كانت المعركة التي قتل فيها سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه في العاشر من محرم سنة ٦١هـ(٦)

وكان حادث كربلاء ومقتل الحسين حادثا هز الدولة الاموية وهيأ لمزيد من الإنكار والوقوف في وجه الإنحراف السياسي الأموي ، فكان خلع أهل المدينة وأهل مكة لبيعة يزيد الشيء الذي أدى إلى تجهيز جيش أموي جديد استباح حمى المدينة المنورة وأشاع فيها القتل والرعب في وقعة الحرة المشهورة سنة ٦٣ هـ

كما تجلى هذا العصيان من قبل الصحابة في خروج عبد الله بن الزبير على الحكم الأموي حيث بويع خليفة وبسط حكمه على العراق والحجاز من سنة ٦٤هـ إلى سنة ٧٣هـ

كما تعد ثورة الفقهاء على النظام الأموي ممثلا في والي العراق يومئذ الحجاج بن يوسف حلقة مهمة في هذه السلسلة التي أهم ما يميزها :

١ - أنها كانت استجابة للتحدي المتمثل في الحيدة بأمر الخلافة وشأن السلطة عن الطريق الإسلامي القويم .

٢-أنها جاءت من قبل نخبة أهل العلم والفضل في ذلك العصر .

٣- أنها انتهت كلها نهايات مأساوية لصالح السلطة الأموية .

ورغم هذه الثورات ، ورغم الإنحراف الذي جاءت الثورات ردا عليه فإن العهد الأموي عموما ظل بخير إذا استثنينا الخط السياسي ، فقد استمر الجهاد والفتوح وظل الإسلام هو المهيمن على المجتمع بروحه وتعاليمه . ولعل ذلك راجع إلى قرب العهد بالمنابع الإسلامية الأولى

غير أنه مع امتداد الزمن وتطاول الأيام كان خط الإنحراف يزداد عمقا ويتسع أفقا فبدى يشمل جوانب سياسية لم يشملها من قبل ، ويتجاوز الإطار السياسي إلى الساحة الإجتماعية متمثلا في دعوات قومية جاهلية فبدأ الإتجاه القومي للدولة الأموية يظهر ويتقوى واتسع نطاق الانحراف الأخلاقي ، كل ذلك في غياب الرقابة الإسلامية من قبل المجتمع .

---

(٥) الخلفاء الراشدون والدولة الاموية ص١١٦ تاليف جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٥هـ

(٦) المرجع السابق ص من ١٢٠ -١٢٣

ومع مقدم العهد العباسي وتكرس الانحراف السياسي جاءت انحرافات جديدة عمقت الشرخ وزادت من لوثة الإنحراف الأموي ، فقد شمل الانحراف العباسي مجال العقيدة والفكر بما تفشى في هذا العصر من الفلسفات الإغريقية والوثنيات الفارسية وتذكر المعتزلة عادة نموذجا لهذا الانحراف في مجال العقيدة غير أنهم ليسوا وحدهم في ذلك فكل المتكلمين في الأسماء والصفات طالهم ذلك التأثر الذي أفقد العقيدة الإسلامية نصاعتها وروحها وبساطتها ، فلم يعد الكلام في العقيدة يزيد الإيمان أو يحرك الوجدان ، بل أصبح على أيدي هؤلاء يدعو لمزيد من الشكوك والريب .

ولعل أخطر مظاهر الإنحراف في مجال العقيدة هو الفكر الإرجائي الذي أخرج (العمل) من مسمى الإيمان ، وقال إنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة .

ولئن كان هذا الإنحراف محدود التأثير في بدايته مع بقاء دفعة الإسلام قوية إلا أنه مع مرور الزمن ومَيل البشر الى التفلت من التكاليف - حدث هروب من العمل وتقاعس عن الكسب اكتفاء بأن الإيمان مستقر في القلب ولا علاقة له بالعمل (٧) .

زد على ذلك ما أحدثه مبتدعة المتصوفة في ميدان التصوف والزهد المحرف فانضم هذا إلى ذاك .

كل هذه الانحرافات تراكمت لتأكل كيان الأمة من الداخل فتجعلها سهلة الإختراق من الخارج ،الشيء الذي نتج عنه سقوط الجبهة العسكرية أمام الصليبيين وحملاتهم (٨) فاحتل بيت المقدس وبلاد الشام احتلالا دام مائتي سنة ، فشكل الغزو الصليبي الجديد أكبر تحدي خارجي عرفته الأمة إلى ذلك الوقت .

ومنها الصورة القاتمة والوضعية الأليمة بعث الله أملا جديدا أعاد للأمة كرامتها ومسح عنها عار هزيمتها ، بعث الله صحوة جديدة في هذه الأمة وجهت لطمة عنيفة للصليبيين فكانت بداية نهايتهم في المنطقة .

وقد جاءت هذه الصحوة متجسدة في حركة صالح الدين الأيوبي الذي هَزم الله على يديه الصليبين شر هزيمة في المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام والصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ التي أسفرت عن استرداد بيت المقدس (٩).

وهذه الصحوة الإسلامية كانت استجابة لأهم التحديات المطروحة على الأمة وهو التحدي العسكري كما كانت الصحوة في العهد الأموي استجابة للتحدي السياسي ، وهذه قاعدة تحكم تاريخ صحوات هذه الأمة ، فالصحوة تظهر أساسا في هذه الأمة ردا على تحد بذاته أو تحديات وتكون بقدر ذلك التحدي وفي مجاله .

.....

(٧) - محمد قطب ص من ١٢٧ - ١٣٨ مرجع سابق

(٨) - كانت الحملة الصليبية الاولى سنة ٤٩٠هـ

(٩) - راجع دول العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ١٧١ تاليف وطباعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

وتلك حقيقة سوف نبينها بتتبعنا لظاهرة الصحوة عبر خط انحراف الأمة ان شاء الله.

لقد ظلت عوامل الإنحراف تعمل عملها في كيان الأمة وحكام الدولة ومجتمع المسلمين، وكلما امتد التاريخ وبعدت المنابع الإسلامية الأولى تحكمت عوامل الانحراف السابقة وتولدت عوامل جديدة لاحقة ، ولم يكد القرن الهجري السابع ينقضي حتى بلغ الانحراف حدا ليس بعده إلا انطباق وصدق سنة الله في الأمم التي لاتحابي أحدا .

لقد فرغت عقيدة الإسلام من محتواها لتصبح مباحث جافة في قوابل ذهنية باردة لا تحرك قلبا ولا تثير شعورا ، فلم تعد عقيدة السلف التي كانت يتنزل بها القران ، فيتلقاها الجنان فيفيض بالإيمان .

وهذا العامل وان كان موجودا سابقا إلا أن أثره لم يظهر كما ظهر في هذه الفترة .

ومثل ذلك التصوف السلبي الذي ظهر بأوضح صوره في هذا العصر حيث ظهر في شكل تجزئة الدين والتفريق بين العبادة والعمل ، فاكتفت المتصوفة من الدين بالشعائر والافكار وأحاديث الاشراقات والأنوار وجعلت من التوكل ذريعة للتواكل .

إن كل واحد من هذه العوامل كان كفيلا لوحده بتقويض دولة وإزالة أمة ، فما بالك وقد تضافرت فيما بينها ؟

إنه لم يبق إلا أن يحق وعد الله فتدول دولة هذه الأمة فكان سقوط دولة العباسيين وانهيار خلافة المسلمين واجتياح عاصمة البلاد الإسلامية آنذاك بغداد سنة ٦٥٦هـ علي أيدي التتار .

لقد كان سقوط بغداد أعظم وأشنع حدث مرّ بالأمة لأنه مع كل الأحداث السابقة عليه ظلت الأمة محتفظة بكيانها القائم وسلطانها الظاهر وعاصمتها المحمية .

أما بعد سقوط بغداد فقد ذهب كل شيء ، فقد اجتيحت الأرض ، واحتلت العاصمة ، وذبح الخليفة ، وازدحمت الشوارع والسكك بجثث المسلمين بدرجة من الذل لا تصدق .

إن سقوط بغداد على أيدي التتار الزاحفين من الشرق بلغ من الفظاعة حدا اعتقد معه البعض أن التتار هم ياجوج وماجوج الذين يأتون قبيل قيام الساعة .

وبعد اجتياح بغداد واصل المغول زحفهم غربا اتجاه الشام ومصر يأتون على الأخضر واليابس لا يقوم لهم جيش ولا تقف أمامهم قوة .

وهنا أيضا وفي هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ الأمة يقيض الله لها من بين أبنائها من يبعث فيها روح الإسلام من جديد ويعيد إليها كرامة التوحيد، يقيض الله السلطان المملوكي المظفر قطز ليواجه التتار في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ التي كان فيها الهزيمة القاضية على التتار ، هذه الهزيمة التي انتصر فيها المسلمون انتصارا ماديا بالنصر العسكري ، ومعنويا بدخول التتار في الاسلام، الحدث الذي سجل لاول مرة في التاريخ ، وهو دخول الغازي في دين المغزو.

فتحولوا إلى جند يقاتل عن الإسلام بعد ما كانوا يقاتلونه ، فكانت تلك صحوة أخرى من صحوات هذه الأمة عبر تاريخها الطويل، صحوة حملت شعار (والإسلاماه) فأعادت للأمة مصداقيتها من جديد .

وكانت الصحوة هنا أيضا من نوع وبقدر التحدي فقد كانت استجابة للتحدي العسكري بدرجة أولى ، لأن التتار لم تكن معهم حضارة يحملونها ولا علوم أو فنون يفخرون بها .

إلا أن الدمار الهائل الذي حل بالمكتبات الإسلامية ببغداد على أيدي التتار بعث على صحوة علمية في الغرب الإسلامي (مصر ، والمغرب ، والأندلس) ، فمعظم كتب التفسير والفقه والأصول والأدب والتاريخ الموجد الان ألفت في هذا العصر الذي يسميه معظم المؤرخين بعصر الإنحطاط متأثرين في ذلك بالمنهج الغربي في كتابة تاريخ الغرب جاهلين أنه كان عهد نهضة علمية في العالم الإسلامي .

وبإزاء هذه الصحوة العلمية كانت ثمة صحوة عقدية هامة أحيت منهج السلف في العقيدة ، وأزالت عنها شبه المتكلمين وانتحال المبطلين ، وكان رائد هذه الصحوة العقدية هو الامام أبن تيمية الذي أحيا مدرسة الإمام أحمد بن حنبل .

وبعد ذهاب الخلافة العباسية جاءت الدولة العثمانية على سنة سلفها الدولة العباسية فتعمقت الانحرافات القديمة وزادت انحرافات جديدة ، فأضافت إلى الإستبداد السياسي قسوة التجبر العسكري الشيء الذي -وإن كان حفظ للأمة هيبتها في الخارج -إلا أنه طغى على الحياة العلمية والتربوية للأمة في الداخل.

كما هجرت لغة القرآن في ظل عجمة الدولة المتعمدة ، الشيء الذي ولّد تذمرا خطيرا من العرب الذين شعروا بجور من طرف الأتراك الذين يرون فيهم سالب حقهم في الخلافة ونتج عن ذلك أن كان العرب فيما بعد عامل تقويض للخلافة العثمانية بتحالفهم مع أعدائها .

ولكن أخطر ما أضافه العثمانيون عنصران أساسيان كان لهما أكبر الأثر في تاريخ الأمة الحديث ، وهما :

العنصر الأول : غلق باب الإجتهاد (١٠) ورفع شعار ماترك المتقدم للمتأخر شيئا ، وليس في الإمكان أبدع مما كان .

وقد كان غلق باب الاجتهاد نتيجة حتمية للفقه الأرائتي (الافتراضي) الذي نتج عن انشغال الفقهاء به انشغالهم عن المسائل الكبرى ، ونتج عن ذلك وجود كم هائل من الفرعيات كفيل بتغطية حاجة الأمة من المسائل الفرعية خلال فترة زمنية طويلة ، فلما انقضت تلك الفترة أصبح الاجتهاد - لبعد عهد الناس به - أمرا مستغربا فأغلق بابه سدا للذريعة .

---

(١٠) محمد قطب مرجع سابق ص ١٥٥

. يرى البعض ان باب الاجتهاد اغلق في االقرن الخامس الهجري من قبل العثمانيين

ونتيجة لغلق باب الإجتهاد كان العنصر الثاني .

العنصر الثاني : استجلاب القوانين الوضعية :

أمام مستجدات الحياة المتلاحقة وانفتاح الدولة العثمانية على أوروبا ومحاولاتها للتحديث في نظم الجيش والإدارة والتعليم .

وأمام باب الإجتهاد المغلق ، وعدم وجود فرعيات فقهيه تتناول هذه المواضيع المستجدة - كان لابد للأتراك من استيراد نظم جديدة تسد هذا الفراغ ، فكان ذلك مفتاح أشر الأبواب التي فتحت على الأمة الإسلامية في تاريخها الحديث ألا وهو باب القوانين الوضعية .

وأول من فتح هذا الباب هو سليمان القانوني (١١) وقد أغرته بذلك بطانته من اليهود والنصارى .

وقد تمثلت خطورة هذا الإنحراف في جانبين :

الأول : أنه فتح باب الإستيراد من منهج وفكر أجنبيين على الإسلام وذلك يحدث لأول مرة في تاريخ هذه الأمة .

الثاني : أنه أوهم الناس بعدم ملاءمة الشريعة للتطورات الزمانية والحياتية .

وكل ذلك أثر تأثيرا بالغا في حياة الأجيال اللاحقة من أبناء الأمة ، وكان من الطبيعي والحتمي ألا تستمر دولة العثمانيين إلى الأبد وهي تحمل في كيانها عوامل فنائها واندثارها من الداخل ، وتتعرض لأعتى الهجمات من الخارج ، فكان لابد من أن تنهار وتسقط وكان ذلك سنة ١٩٢٤م ، الشيء الذي أدى إلى احتلال العالم الإسلامي من قبل أوروبا وتقاسمها إياه ، وتعرض الأمة الإسلامية إلى استعمار شمل السياسة والاحتلال العسكري والاستلاب الحضاري واحتلال البلاد والعباد حيث سيطر الغرب على النفوس واستولى على القلوب .

كل هذه العوامل تضافرت لتشكل المحرك الأساسي للصحوة الإسلامية الحديثة التي كانت ردا عنيفا على تلك الأوضاع واستجابة كبرى لذلك التحدي .

وعلاقة الصحوة بتلك التحديات سوف نتناولها في الباب القادم إن شاء الله .

غير أننا قبل الدخول في ذلك الباب نذكر بجملة ملاحظات :

أولا : أننا لم نقصد من هذا المدخل إلا توضيح مدلول الصحوة ورصد الظاهرة تاريخيا .

ثانيا : أننا لم نقصد تقويم الدول التي تعاقبت على حكم الأمة ، بل كان همنا هو رصد مجموعة من الأسباب التي ساهمت في تشكيل وضعيات مرضية كانت الصحوات التاريخية ردا عليها .

---

(١١) حكم من ١٥٢٠-١٥٦٦ م - محمد قطب مرجع سابق ١٦٠

ثالثا : كان تركيزنا على الجانب السلبي من التاريخ السياسي الرسمي دون الجانب الإيجابي لأن الحدث السلبي هو الذي يرتبط بالصحوة باعتباره عاملا على تحريكها

رابعا : لم نتعرض للصحوات التي ظهرت في العهد العثماني في هذا المدخل لأننا رأينا أن تأخيرها إلى باب الصحوة الإسلامية الحديثة أنسب لأنها تشكل جذرا تاريخيا ومرجعا فكريا شديدي الالتحام بموضوع الباب .

الباب الأول :

الصحوة الإسلامية الحديثة

من خلا المدخل السابق أخذنا صورة ولو جزئية عن صحوات عديدة ظهرت في جوانب مختلفة في حياة الأمة وعلى مدار فترات تاريخية مختلفة .

وقد خرجنا من ذلك المدخل بشبه قاعدة تقول :

إن هذه الأمة كلما أصيبت بغفوة أو اعترتها سكرة تداركتها صحوة انتشلتها من الوهدة .

ومن خلال تتبعنا لتلك الصحوات وجدنا أنها كانت كل واحدة منها تمثل استجابة لنوع التحدي العارض .

فثورة الحسين كانت استجابة للإنحراف السياسي الأموى ، ومعركة عين جالوت وهزيمة التتار كانت مظهرا للصحوة التي تجلت في الجانب الجهادي العسكري .

ومدرسة ابن تيمية السلفية في العقيدة كانت ردا على الاتجاه الكلامي الذي حرف عقيدة المسلمين وأفرغها من محتواها .

والصحوة العلمية في الغرب الإسلامي بعد سقوط بغداد كانت ردا على الدمار الذي لحق بالتراث العلمي الإسلامي في بغداد وهكذا .

وهذه السنة التاريخية لهذه الأمة هي التي لا زالت تحكم تاريخها الحديث فإن الصحوة الإسلامية الحديثة جاءت على نوع وبقدر التحدي المتمثل في وضعية الأمة قبل أيام الصحوة ، هذه الوضعية التي يقول فيها الكاتب الأمريكي (لوثوارد) (١٢) :

" كان العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدني والإنحطاط أقصى دركة ، فاربدّ وجهه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشي ماكان باقيا من آثار التهذيب العربي ، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الشهوات ، ومالت الفضيلة في الناس وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الوضيئة وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ....

" وجاء فوق ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقا ، فكلت الأيدي وقعدت عن طلب الرزق وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين وبارت التجارة بوارا شديدا وأهملت الزراعة أيما إهمال ".

.....

(١٢) عرّب هذا المقال عجاج نويهض ، وعلق عليه الامير شكيب ارسلان

"وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فالبست الوحدانية - التي علمها صاحب الرسالة الناس - سجفا من الخرافات وقشور الصوفية وكثر عديد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور وغابت عن الناس فضائل القرآن. وعلى العموم فقد بُدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطا بعيد القرار فلو عاد صاحب الرسالة في ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدين وعبدة الأوثان" (١٣).

بعد هذه الحالة التي اعترت الأمة الإسلامية والتي رسمها هذا الكاتب الأمريكي بصدق(١٤) والغنية - عن التعليق - امتدت يد العناية مرة أخرى إلى هذه الأمة فظهرت صحوات جديدة متلاحقة شكلت روافد صبت في مجرى الصحوة الإسلامية الحديثة الكبرى التي كانت على مستوى التحدي الذي رسمته الصورة السابقة تمثلت هذه الصحوات في حركات متعددة تشكل كل منها استجابة لجزء من التحديات المطروحة.

وهذه الحركات ظهرت عبر فترات زمنية مختلفة وعرفت تطورات هامة تدعوا الباحث لرصد نشأتها وتطورها من جهة.

كما أن هذه الحركات وإن كانت تشكل مع بعضها ما نسميه بالصحوة الإسلامية الحديثة إلا أنه داخل هذه الصحوة توجد اتجاهات ومدارس يتحتم على الباحث التعرض لها.

وبناء على ذلك فإننا سوف نقسم هذا الباب إلى فصلين نتناول خلال الفصل الأول نشأة وتطور الصحوة الحديثة، ونتعرض في الفصل الثاني للاتجاهات والمدارس داخل هذه الصحوة.

---

(١٣) نقلا عم كتاب (جمال الدين الافغاني) ص ١٣ محمود ابو رية.

(١٤) قال الامير سكيب ارسلان معلقا على وصف هذا الكاتب الامريكي لحال الامة الاسلامية: انه لو اراد فيلسوفها تحرير ار كاتب عبقري ان يصف حال الامة الاسلامية في تلك الفترة ما قال غير قول هذا الامريكي

الفصل الأول

الصحوة الإسلامية الحديثة - النشأة والتطور

شهد العالم الإسلامي ابتداءا من القرن الثامن عشر أهم الحركات الإصلاحية التي شكلت فيما بعد تيار الصحوة الإسلامية الحديث (١٥) .

وقد جاءت هذه الحركات في موجتين تجديديتن :

الموجة الاولى :

تضم هذه الموجة حركة الامام محمد بن عبد الوهاب بالجزيرة العربية ، وحركة ولي الدين الدهلوي بالهند ، والإمام الشوكاني في اليمن ، والشهاب الألوسي في العراق ، وفي المغرب حركة محمد بن علي السنوسي ، وفي السودان محمد بن أحمد المهدي .

ورغم تباعد المكان ، والتفاوت النسبي في الزمان وبعض الخلافات في المناهج والأولويات بين هذه الحركات إلا أن هناك قاسما مشتركا بين جميعها هو : الدعوة إلى التجديد ونبذ التقليد وفتح باب الإجتهاد والرجوع إلى الكتاب و السنة والتخفيف من ركام التاريخ الذي حجب عن المسلمين نور الوحي لفترات طويلة .

وقد تجلت هذه المباديء بأرضح صورها في حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية ، هذه الحركة التي سوف نتناولها بشيء من التفصيل نموذجا لهذه الموجة وذلك باعتبار هذه الحركة أكثر تأثيرا في الصحوة الحديثة والصحوة في موريتانيا بالذات .

لقد ظهرت الحركة الوهابية رائدة لكل الحركات الإصلاحية التي ظهرت في عصور التخلف والإنحطاط ، وزمن الفساد العقدي والجمود الفكري .

ومؤسس هذه الحركة هو الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي عاش مابين (١٧٠٣-١٧٩١م) . وقد جاءت هذه الحركة كأول رد منظم على الحالة التي وصفها " الوثروب ستوردارد " بقوله : " .... وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فالبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة للناس سجُفا من الخرافات وقشور الصوفية ، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور " (١٦) .

كانت هذه هي وضعية الدين في القرن الثامن عشر على العهد العثماني ، فجاءت الدعوة السلفية الجديدة في هذه الوضعية فدعت للتجديد إحياءا لمدرسة أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١) وابن تيمية (٦٦١-٧٢١) ، ودعت إلى تصحيح العقيدة وتنقيتها من الشوائب ومحاربة الشرك والبدع .

---

(١٥) راجع كتاب الصحوة الاسلامية رؤية مستقبلية د فهد التفيسي ص١٥٢

(١٦) راجع ص٩٠ من هذا البحث

ودعت إلى رجوع الى الكتاب والسنة بخاصة في أمور العقيدة ودعت إلى فتح باب الاجتهاد الذي أحكم العثمانيون إغلاقه .

ومن أهم ما ميز حركة محمد بن عبد الوهاب هو اهتمامها بالتوحيد وأنواعه من توحيد الربوبية ، وتوحيد الالوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

كما حاربت البدع والشركيات المتعلقة بالتوسل والشفاعة والتبرك وزيارات القبور غير المشروعة والتصوف البدعي .

وقد وجد محمد بن عبد الوهاب معارضة شديدة من جهال المجتمع ومشايخ التصوف ، وغيرهم من ذوي المصالح المهددة من الدعوة الجديدة التي تربط الناس بالله دون وسيط من الجن أو البشر .

وكانت نتيجة ذلك أن اضطر إلى الإستعانة بالسلطة السعودية (١٧) الحاكمة آنذاك في تحقيق أهداف الدعوة التي انتشرت في مناطق عديدة داخل الجزيرة وخارجها .

وقد تركت حركة محمد بن عبد الوهاب آثارا واسعة في العالم الإسلامي وتركت بصماتها واضحة على الحركات الإصلاحية اللاحقة التي شكلت الموجة الثانية من موجات حركة الإصلاح .

الموجة الثانية :

جاءت الموجة الثانية من الحركات الاصلاحية في القرن التاسع عشر ، وكانت البداية مع جمال الدين الافغاني ، وتبعه بعد ذلك تلميذه محمد عبده ، ومن بعدهما محمد رشيد رضا .

وكان على التجديديين الجدد ان يواجهوا أوضاعا جديدة بحلول وافكار جديدة فالخطر لم يعد يهدد العقيدة وحدها كما هي الحال في زمن ابن عبد الوهاب بل ان رياح الفكر الغاتية هزت الفكر والعقائد والعوائد وأساليب العيش ونمط الحياة .

لقد صار لزاما على المجددين الجدد ان يواجهوا اوضاعا فكرية متباينة تستدعي مواقف متباينة ، فالمواجهة لم تعد على جبهة جزئية كالبدع والخرافات ، ولم تعد تواجه الاحتلال العسكري للاراضي فحسب ، بل اصبحت تواجه الاحتلال الفكري - احتلال القلوب والعقول وخطر الانحلال والتميع والفلسفات المادية والعلمانية والالحادية (١٨) .

ولما كانت التحديات الجديدة اوسع واشمل كان نطاق الصحوة الجديدة اوسع واعمق ، فلم تقتصر على الجوانب العقدية فقط ، بل تجاوزت ذلك الى محاولة تأسيس مشروع اسلامي بديل لمواجهة النموذجي الغربي الغازي بخيله ورجله .

.....

(١٧) كان ذلك في عهد محمد بن سعود (١١٣٩-١١٧٩هـ)

(١٨) عن كتاب الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية . د. فهد النفيسي ص ١٥٨-١٦٩

فاستطاعت بذلك ان تعيد للفكرة الاسلامية كثيرا مما فقدته سابقا ، وان تضيف اليها عناصر جديدة ، فتجلى المشروع الجديد في اطروحات تتناول السياسة والاجتماع والتربية والتعليم .....

لقد سعت هذه المدرسة الى اطلاق العقول من الاغلال التي قيدتها طول الاجيال الماضية داعية الى الرجوع الى منابع الدين الاولى التي تعيد لهذا الدين حيويته ونشاطه كنظام متطور لا يقيده زمان ، ويحبسه مكان .

وهذه كانت اهم الافكار التي جمعت اقطاب الموجة الجديدة ، الا ان اتساع التحديات التي واجهت هؤلاء ، والتفاوت الزماني بينهم كل ذلك جعلهم يتمايزون في تحديد السبيل وترتيب الاولويات في سبيل النهوض الجديد.

وهكذا فان جمال الدين الافغاني ركز جهوده على الاصلاح السياسي مناديا بفكرة الجامعة الاسلامية ومبشرا بتوحيد العالم الاسلامي ، وخصوصا بين اهل السنة والشيعة

وقد كان جمال الدين الأفغاني يجعل من موضوع الجامعة الاسلامية همه الاول لانه يرى فيه السبيل الوحيد للتخلص من الاجنبي الذي يمثل التخلص منه الركن الاعظم من الدين عند الافغاني (١٩) .

واذا كان جمال الدين الأفغاني قد بشر بفكرة الجامعة الاسلامية ، الا انه يؤخذ عليه انه لم يقدم النموذج الوحدوي المطلوب ، ولا الوسائل الكفيلة بتحقيق فكرته الطموحة كما انه اكتفى بالدعوة للوحدة الدينية دون الوحدة السياسية ذات الاهمية البالغة .

واذا كان الأفغاني يرى ان الخطر الذي يواجه الامة هو خطر خارجي لا يمكن دفعه الا بالوحدة في وجهه – فان تلميذه محمد عبده يرى ان الخطر خطر داخلي بالدرجة الاولى فتجب مواجهته من خلال كسب الجبهة الداخلية ، فالخطر عند محمد عبده إذن ليس هو الاستعمار وانما هو (قابلية الاستعمار) (٢٠).

وانطلاقا من هذا التصور انصبت جهود الرجل على الاصلاح الداخلي بعيدا عن المواجهة المكشوفة مع المستعمر الذي كان قد توطد احتلاله العسكري للبلاد في عهده وتمكن تمكنا لم يحصل في عهد الأفغاني .

وهكذا فقد تركزت دعوة محمد عبده على الاصلاح التربوي والتعليمي ، وتحرير الفكر من قيد التقليد ، والدعوة الى اكتساب المعارف الدينية من الكتاب والسنة والرجوع في ذلك الى ما قبل عهد الخلاف ، والاعتماد على العقل في فهم النص بدرجة كبيرة .

---

(١٩) النفيسي ص١٦١ مرجع سابق

(٢٠) قابلية الاستعمار مصطلح ينسب الى عبد الحميد بن باديس

وهذا العنصر الاخير من اهم ما تميز به محمد عبده يقول في ذلك : " يجب تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريق سلف هذه الامة ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى .....والنظر الى العقل باعتباره قوة من افضل القوى الانسانية ، بل هي افضلها على الحقيقة " (٢١) .

وفي عهد محمد عبده طرحت مسألة موقف الدين من العلم ، والاصالة والتحديث ، وضاع فيها الحق بين المحافظين التقليديين من طلاب علوم الدين من جهة ، وطلاب العلوم الحديثة من جهة اخرى وفي هذا المجال يقول محمد عبده:

وانه "اي الدين" على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا علي البحث في اسرار الكون داعيا إلي احترام الحقائق الثابتة مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل ... كل هذا أعده أمرا واحدا .

وقد غالت في الدعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة ، طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناصيتهم " (٢٢) .

لقد رسم الامام لمدرسته منهجا تجديديا وسطا بين فئة التقليد بين التابعين في حصون الجمود والتقليد وبين فئة المتغربين المبتورين حضاريا الممسوخين علمانيا .

ولشق هذا الطريق الجديد كان لا بد من كثير من الشجاعة وبعد النظر فبدون ذلك لايستطيع الفكر الجديد ان يغير مجري أمة مشدودة بين قطب تخلف العصور المظلمة وقطب الحضارة الغربية الغازية .

وكان طبيعيا ان يتركز اهتمام الرجل على الأزهر وإصلاحه أولا ففيه قد درس وعليه يعلق الأمل في إصلاح الدين وتنوير الأمة .

وقد خاض محمد عبده معارك طاحنة في سبيل إصلاح الازهر الذي كان قد انحط فيه التعليم إلي درجة الإقتصار علي تدريس الحواشي والمتون وحظر اي علم آخر حتي التاريخ والجغرافيا ....!!

ولئن كان محمد عبده لم يفلح في تحقيق كل ما اراد الا انه نجح في بعضه ، ووضع مشروع البعض الاخر ، ووضع الازهر على عتبة الاصلاح .

غير ان الازهر والمقلدين لم يكونوا هدف الامام وحدهما بل ان هناك نمطا آخر من السلفية كان محل انتقاد لاذع من الإمام لانهم لم يحترموا العقل كما يرى الامام وهؤلاء هم السلفية الوهابية اذ يقول فيهم : (ولكن هذه الفئة اضيق عطنا واحرج صدرا من المقلدين وان انكرت الكثير من البدع ونحت عن الدين كثيرا مما اضيف اليه ، وليس منه فانها ترى وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتعبد به ....فلم يكونوا للعلم اولياء ولا للمدنية احياء) (٢٣) .

---

(٢١) نقلا عن كتاب (الامام محمد عبده) تاليف د. محمد عمارة

(٢٢) المرجع السابق من ص ٤٨-٤٩ (٢٣) الاعمال الكاملة لمحمد عبده جـ٣ ص ١٢١ نقلا عن محمد عماره مرجع سابق

وكذلك كان العلمانيون والمغربون هدفا مستمرا لحملات محمد عبده ، وخاصة أولئك الذين حصروا الاسلام في القومية والجنسية دون ان يكون اساسا للتقدم او عاملا للنهوض ، يقول الامام في اسلام هؤلاء (... فالاسلام عند هؤلاء الذين يصفون انفسهم بالمتمدنين قد خرج عن كونه عقيدة دينية الى كونه جنسية سياسية أية الاستمساك به مدح الحكام) (٢٤) .

ان منهج محمد عبده هو تلك الوسطية بين المقلدين الجامدين والمنحرفين المستغربين ، وتلك نماذج من الاراء الاصلاحية لدى الامام محمد عبده الذي كان شيخا لمحمد رشيد رضا .

وكما تميز محمد عبده عن استاذه الافغاني فيما رأينا قبل قليل فان محمد رشيد رضا قد تميز هو الاخر عن استاذه محمد عبده ، لقد كان رشيد رضا امتدادا لعطاء الاتجاه السلفي في موجته الثانية التي بدأت مع الأفغاني ، غير ان محمد رشيد رضا كان متميزا داخل هذا الاتجاه السلفي فقد كان مستجيبا لظروفه من ناحية التجديد والتطوير متجاوزا عقلانية استاذه الى سلفية ابن تيمية ومدرسته من حيث الاعتقاد والاجتهاد وقد تجلى هذا التميز واضحا في كتابه (تفسير المنار) حيث ربط فيه بين القضايا السياسية والقضايا الفقهية وهو ربط يمليه عليه ظرفه التاريخي الذي شهد احداثا تاريخية خطيرة كان منها وأعظمها سقوط الخلافة العثمانية ١٩٢٤م وتقسيم بلاد الإسلام تركة بين الأوربيين.

وقد عبر رشيد رضا عن أفكاره الجديدة من خلال كتابه (تفسير المنار) وكتابه (الخلافة والإمامة العظمي)الذي هاجم فيه أتاتورك وعلمانيته . كما كانت مجلة المنار الواجهة الهامة التي تطل منها أفكار محمد رشيد رضا ، وقد نشر عبرها كتاب (الخلافة والإمامة العظمي) ، وكان لهذه المجلة دور كبيرفي توعية الشرق الإسلامي بالفكرة الإسلامية المبشرة بالصحوة الجديدة ، يقول محمد رشيد رضا في (المنار) : (إنما أنشئ لإيقاظ الشرق وتجديد الإسلام بإعادة تكوين الأمة وإحياء الملة والدولة).

وقد حارب محمد رشيد رضا التوجه الغربي الذي صفقت له بعض التيارات المستلبة جاعلا ذلك حماقة تقضي علي كيان الأمة من معتقدات وغرائز وروح معنوية [illegible] من الخطورة إحلال عاطفة قومية قائمة علي الجنس محل

وأكد أن الشريعة الإسلامية غنية عن كل القوانين الوضعية وتتمشي مع كل الظروف والأزمنة (٢٦)

لقد قطع محمد رشيد رضا شوطا هاما بالفكرة الإسلامية في الشرق عموما وفي مصر بالخصوص حيث عمقها من ناحية ووسع نطاقها من ناحية اخري .

اننا من خلال ما سبق نستطيع أن نتبين مدي الزخم الذي وصلت إليه الفكرة الإسلامية على يد كل من الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ، بغض النظر عن المآخذ التي أخذت عليهم .

وإلي جانب سريان هذه الفكرة في الأذهان وانتشارها في الناس كانت هناك في المقابل تحديات هائلة انحرفت بلامة أشواطا بعيدة وهبطت بها وهدات سحيقة عن الإسلام . فعلي المستوي السياسي كان الميدان تحت سيادة الحكومات والأحزاب السياسية التي تعبث في الأرض فسادا وتسوسها بالقوانين الوضعية والأفكار العلمانية .

وعلى المستوي العسكري كان هناك الإستعمار الجاثم بكلكله على صدر الأمة وارضها .

وعلى المستو ي الفكري كانت التيارات العلمانية والالحادية تعبث بعقائد وعقول العامة . وقد الغيت المحاكم الشرعية وادخلت القوانين الوضعية .

وعلي المستوي الثقافي والادبي كانت كتابات طه حسين وامثاله وخصوصا كتاب (في الشعر الجاهلي) الذي شكك فيه في بعض القصص القرآنية -تعبث بعقول الشباب

وعلي المستوي الإجتماع كانت دعوات تحرير المراة وكتابات قاسم امين الداعية إلي السفور قد بلغت اوجها كما كان الإنحلال الخلقي قد بلغ درجة خطيرة

إذا أضيف الي كل ذلك سقوط الخلافة الاسلامية فإنه يكون كفيلا بتشكيل اكبر التحديات امام الفكرة الإسلامية الجديدة .

واذا اضيف الي تلك التحديات قوة الفكرة الإسلامية نفسها فإن ذلك يكون كفيلا بخلق الصحوة الإسلامية الحديثة الى التجلي في أبرز صورها واوضح تجلياتها في اقدم حركاتها المنظمة حركة الإخوان المسلمين بقيادة مؤسسها الإمام حسن البنا سنة ١٩٢٧م.

لقد جاءت حركة الإخوان المسلمين في كثير من افكارها امتدادا للمدرسة السلفية السابقة وخصوصا أفكار محمد رشيد رضا .

يقول حسن البنا (نحن سلفيون من اتباع الشيخ محمد رشيد رضا) .

غير ان تميز الإخوان المسلمين وخصوصيتهم لاتكمن في ما اضافوه إلي الفكر السلفي السابق فقط . ولكن خصوصية الحركة الجديدة تكمن في ان (البنا والإخوان المسلمين ليسوا فكرة فقط ولكنهم حركة وموقف واساس كونهم فكرا وحركة وموقفا هو (شمول الإسلام) اي الدعوة الي الإسلام الشامل لكل اوضاع الكون والمجتمع والفرد .

---

(٢٦) المرجع السابق

والإسلام الجامع لكل اطراف الحياة المهيمن على كل احوال البشر عقيدة وشريعة وسلوكا . فبالعقيدة تتحدد للانسان نظرته الي الكون وموقفه فيه وبالشريعة تتحددله نظرته الي المجتمع وموقع الفرد فيه ... وبالسلوك تتحدد له اسس نظرته الي غيره من الافراد والجماعات)(٢٧)/

إن هذا النص الذي نقلناه حرفيا يضعنا امام نقلة جديدة في تاريخ الصحوة الإسلامية الحديثة ، وقد تحققت هذه النقلة بميلاد حركة جديدة لاتحمل فكرا فقط وإنما تجسد سلوكا وحركة

لقد جاءت حركة الإخوان مؤكدة علي هيمنة وشمولية الإسلام لكل مجالات الحياة السياسية والإقتصادية والتشريعية والثقافية والإجتماعية .

وكان ذلك لطمة عنيفة للذين يسعون لتحجيم العبادة ودور الإسلام في بعض الممارسات الفردية المبتورة من حياة الناس وواقع المجتمع ، ممارسات لا علاقة لها بشئون الناس ولا حياة المجتمع .

وقد كان اصحاب هذه الافكار التجزيئية طائفتان من الناس ، طائفة المتدينين التقليديين ، وطائفة المستغربين .

ونظرا لرواج هذه الفكرة التجزيئية للاسلام والفصل بينه وبين أمور السياسة وشئون الاقتصاد وقضايا الاجتماع ، فقد احتلت فكرة شمول الاسلام حيزا هاما في الخطاب الاخواني .

يقول حسن البنا "ـــــولا ذنب لنا ان تكون السياسة جزءا من الدين وان يشمل الإسلام الحاكمين والمحكومين ، فليس من بين تعاليمه اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ولكن في تعاليمه قيصر ومال قيصر لله الواحد) (٢٨).

ويؤكد هذا المعنى عندما يتحدث عن رحابة فقه الدعوة الجديدة وشمول نطاق موضوعها ، يقول حسن البنا : "ان الاخوان المسلمين دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيأة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية) (٢٩).

اننا ونحن امام هذه النصوص نجد انفسنا لاول مرة في تاريخ الامة الحديث امام حركة على هذه الدرجة في العهد الحديث من وضوح الرؤية للاسلام وعمق الفكرة في الدين . فقبل هذه الجماعة لم يطرح الاسلام هذا الطرح الذي ينظم جوانب من الحياة كان الناس يرونها من المتناقضات التي لا تنسجم والمتفرقات التي لا تتلاءم .

فعالمية الاسلام لاتنافي عند الاخوان الوطنية المحلية ، يقول حسن البنا : "وكان الاخوان أشد الناس اخلاصا لوطنهم وهم يعملون لمصر ويطلبون في جهادهم بانها ارض الإسلام "(٣٠).

---

(٢٧) النفيسي مرجع سابق ص١٦٧

(٢٨) المركات الاسلامية في الوطن العربي ص٤٧ مرجع سابق

(٢٩) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ص ٢٦ (٣٠) رسائل حسن البنا ص٦٤

" ان الاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها ان يعمل كل انسان لخير بلده وان يتفانى في خدمته وان يقدم اكثر ما يستطيع من الخير للامة التي يعيش فيها "(٣١).

وروحانية الصوفي لديهم تكميل لعقيدة السلفي .

" وطريقة سنية وحقيقة صوفية "وهكذا

واذا كان الاخوان قد تميزوا في فكرة شمولية للاسلام ، فانهم قد طرقوا بابا جديدا كذلك كان غائبا من الميدان ميتا في الاذهان ذلك هو باب الجهاد في سبيل الله الذي نظرله الاخوان ومارسوه عمليا ضد الانجليز في السويس وضد اليهود في فلسطين في حرب ١٩٤٨م .

وقد احتل هذا الجانب حيزا هاما من اهتمام حسن البنا حيث افرده بالكتابة والبحث ، وخصه بالاعداد والتنظيم حيث أنشأ جناحا عسكريا مستقلا داخل حركته .

وقد عرف هذا الجناح باسم " التنظيم الخاص " او " التنظيم السري ".

وكان هذا التنظيم ذا دور بارز في الاحداث اللاحقة التي واجهتها الحركة فيما بعد سلبا وايجابا ، ومن ناحية اخرى احيى الاخوان مفهوم الدعوة الى الله ومكانتها وبينوا انها مسؤولية الجميع كل بقدر حظه من العلم ونصيبه من التأثير .

وبينوا " انها واجبة اولا على الحكومة لان الله يزع بالسلطان ما لاينزع بالقرآن ".

وواجبة ثانيا على دار النيابة (البرلمان) لانها : السلطة التشريعية (٣٢) التي تصدر القوانين وواجبة ثاليا على الاغنياء والسّراة لانهم يقدرون على الاصلاح ، ثم هي واجبة في النهاية على العلماء والطلبة المسلمين .

كما حدد الاخوان موقفا واضحا من كل قضايا الساعة انطلاقا من الاسلام واستجابة للظروف.

يقول حسن البنا في رسالته الى اي شيء ندعوا الناس ،...ان العالمية ، والقومية والاشتراكية ، والرأسمالية ، والبلشفية ، وتوزيع الثروة ، والصلة بين المالك والمستهلك خاض فيها الاسلام "(٣٣) .

ولئن كان الاخوان المسلمون حققوا بكل ما اضافوه من فكر وما رسوه من عمل اكبر نقلة عرفتها الصحوة الاسلامية الحديثة ، الا ان من اهم ما اتى به الاخوان هو خطابهم السياسي وموقفهم من المستعمرين من ناحية والحكومات العلمانية من ناحية اخرى ، فلقد كان للموقف السياسي للاخوان اكبر الاثر على الصحوة سواء تعلق الامر بالحال داخل الصحوة او بالموقف من خارجها .

---

(٣١) رسائل حسن البنا ص٦٥

(٣٢) مما يؤخذ على حسن البنا عدم تقديره لحقيقة اقتران سلطة تشريعية من دون الله الشيء الذي يناقض الاقرار لله بالحاكمية وقد اثرت مواقفه في هذا المجال سلبا على مسيرة الاخوان لاحقا

(٣٣) رسائل البنا ص٤٦

وهنا أجد نفسي محتاجا الى أن أقف قليلا امام هذه النقطة لأبين -ومن خلال النصوص- أن الاخوان في عهد البنا كان لهم موقف سياسي واضح وجلي ، موقف من الحكام ومن الدستور ومن القوانين ، وأنا إذ اقوم بهذه المهمة ليس دافعي هو الرد على المعلوم من « الاسلاميين » ، حيث دأبوا على اتهام الحركة في عهد البنا بانها اهملت الجانب السياسي لحساب الجانب التربوي ، وهم يقولون ذلك ليبرروا به خروجهم على الهدي السياسي في منهج الإمام البنا بانه لم يرسم للحركة خطا سياسيا واضحا . لقد كان موقف الاخوان من الحكم موقفا جليا واضحا وصريحا .

يقول البنا في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان : " الاخوان المسلمون والحكم " « ويتساءل فريق اخر من الناس هل في منهاج الاخوان المسلمين ان يكوّنوا حكومة وان يطالبوا بالحكم وما وسيلتهم الى ذلك ، ولا أدع هؤلاء المتسائلين ايضا في حيرة ولا نبخل عليهم بالجواب... وهذا الاسلام الذي يومن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من اركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد ....والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والاصول لا من الفقهيات والفروع ، فالاسلام حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم وقانون ، وقضاء ..... ان قعود المصلحين الاسلاميين من المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لايكفرها الا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من ايدي الذين لا يدينون باحكام الاسلام الحنيف " (٣٤)

ثم اني اقول للذين يتهمون حسن البنا بالمهادنة السياسية للحكومات الحاكمة وبين ما انزل الله إليكم هذا النص الذي يعلن فيه المرشد في وجه الحكومة الحاكمة انذاك حقيقة عدم حكمها بما انزل الله شأنها شأن الحكومات السابقة والاحزاب « ... ان الاخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها -لا الحكومة القائمة ولا الحكومات السابقة ولاغيرهما من الحكومات الحزبية- من ينهض بهذا العبء (تطبيق الشريعة) اومن يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الاسلامية ، فالتعلم الامة ذلك وتطالب بحقوقها الاسلامية »(٣٥) .

وفي هذا الاطار يدخل موقف الاخوان من الدساتير، وهنا ايضا نسجل كلمة للبنا من رسالة المؤتمر الخامس تعليقا علي الدستور المصري ومبادي الحكم الدستوري . « ...إن الباحث حين ينظر الي مبادىء الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل انواعها وعلى الشوري وامتداد السلطة من الامة وعلى مسئولية الحكام امام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من اعمال وبيان حدود كل سلطة من السلطات هذه الاصول كلها تتجلي للباحث انها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم ..ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون ان نظام الحكم الدستوري هو اقرب نظم الحكم العامة(٣٦) في العالم كله الى الاسلام

---

(٣٤) الرسائل ص٥٢ مرجع سابق (٣٥) المرجع السابق ص٥٦ (٣٦) لاحظ دقة التعبير

وهم لا يعدلون به نظاما آخر ، غير ان الموافقة على مبدئية النظام الدستوري لاتعني قبول كل ما فيه «يبقى بعد ذلك أمران أولهما النصوص التي تصاغ في قالبها هذه المبادئ ، وثانيهما طريقة التطبيق التي تقر بها عمليا هذه النصوص» (٣٧) .

هذه بعض معالم الفكر الاخواني التي اهلت هذه الحركة لان تكون اما للحركات الاسلامية المعاصرة التي تجسدت فيها اهم معالم الصحوة الاسلامية المعاصرة في العلم الاسلامي ، هذه الصحوة التي نلخص مراحلها في النص التالي: (لقد أرسى الافغاني فكرة الاسلام المجاهد واضاف محمد عبده فكرة التجديد في الفقه والتفسير واضاف محمد رشيد رضا الربط بين التجديد والسلفية ..... واضاف حسن البنا (شمولية الاسلام والترابط الوثيق بين العقيدة والشريعة ، او السياسة وبين الفكر والتنظيم الحركي ومزج بين فكريات فقه الازهر ووجدانيات الصوفية ووطنيات الحزب الوطني) (٣٨) .

واذا كنا قد ركزنا في تناولنا لتاريخ الصحوة الحديث على حركة الاخوان دون غيرها فما ذلك إلا لان هذه الحركة كانت أما لاهم الحركات الاسلامية المعاصرة ولانها ذات التأثير الاكبر على الصحوة في موريتانيا .

تلك اهم مراحل الصحوة الاسلامية الحديثة اما اهم افكارها ففي الفصل القادم .

---

(٣٧) رسائل حسن البنا مرجع سابق ص٥٧-٥٩

(٣٨) النفيسي ص١٦٨ مرجع سابق

الفصل الثاني :

التيارات الفكرية داخل الصحوة

ان الصحوة الاسلامية الحديثة ، وان كانت قد بشرت في خطابها العام بثوابت اسلامية ومنطلقات فكرية ناظمها شمولية الاسلام وكونه دينا ودولة وسيفا ودستورا وسلطانا وقرآنا غير محدود بزمان ولا مقيد بمكان ، الا انه داخل هذا التصور العام توجد اتجاهات وتيارات متعددة تجمعها الثوابت وتمايزها الاهداف المرحلية والوسائل .

ونحن من خلال هذا الفصل عارضون ان شاء الله لأهم هذه الاتجاهات التي تصب في النهاية في المجرى العام للصحوة الاسلامية الحديثة.

لقد سبق ان بينا في الفصل السابق ان حركة الاخوان المسلمين كانت بمثابة الام لاهم الحركات والاتجاهات الاسلامية الحديثة ، ففي ظل هذه الحركة تربى الجيل الاول من ابناء الصحوة في ظل مرشدها الاول حسن البنا رحمه الله .

وقد كان الرجل بما اتاه الله من موهبة وعبقرية يسد بوجوده كل فراغ ويحل اي خلاف بما له من هيبة وسلطان ونفوذ .

غير انه بعد اغتيال الرجل سنة ١٩٤٩ وتعرض الجماعة من بعده لسيل من المحن والابتلاءات بدأت شروخ فكرية وتنظيمية في صفوف الجماعة ظلت تتسع مع مرور الزمن وتتعمق مع تزايد المحن حتى آلت في النهاية الى وجود اتجاهات مستقلة وتنظيمات منفصلة عن الجماعة الأم .

وبإزاء هذه التطورات داخل جماعة الاخوان كانت الساحة الاسلامية لا زالت تفرز وتعطي بفعل عدة عوامل . ومن اهم هذه العوامل :

١-ما اصاب جماعة الاخوان المسلمين من المحن والابتلاءات على أيدي الانظمة والسلطات ، الشيء الذي اثر على عطاء الجماعة.

٢- كما كانت القضية الفلسطينية وتطوراتها عاملا آخر دفع العديد من ابناء الصحوة للبحث عن بديل بعد فشل الحل العربي وعجز الخيار الاخواني المضروب ، وكانت نتيجة ذلك ميلاد تيارات اسلامية جديدة أثرت الساحة الاسلامية من جديد .

٣- كما ساهمت احداث الثورة في ايران وما صاحبها من زخم إعلامي عالمي في ميلاد وانضاج افكار اسلامية جديدة .

٤-ينضاف الى ذلك ملحمة الجهاد الافغاني الذي أضاف البعد العسكري للصحوة الحديثة بما ضربه من الامثلة النادرة في مواجهته للجيش الاحمر الروسي تجاوزت به أدبيات الخط التقليدي للاخوان المسلمين ، فتشجع اتجاه المواجهة والصدام داخل الصحوة الحديثة .

وبتفاعل كل تلك العوامل تمايزت عدة اتجاهات داخل الصحوة سوف نعرض لاهمها فيما يلي :

اولا : الاتجاه الاخواني :

نقصد بهذا الاتجاه ذلك الاتجاه الذي يحكمه ويسيطر عليه التنظيم الدولي للاخوان المسلمين ولانقصد به الفكر الاخواني الذي أسسه حسن البنا وارسى دعائمه سيد قطب (٣٩) لاننا نرى ان الخط الحالي للتنظيم الدولي للاخوان المسلمين غير منسجم مع افكار حسن البنا وتصورات سيد قطب .

وسنشير هنا الى هذا الاتجاه لانطباق معظم صفاته كلها على بعض الحركات الاخوانية في عمومها والتي لها بعض الخصوصيات في الفكرة والمنهج مثل حركة النهضة في تونس والجبهة الاسلامية في السودان فمثل الحركتان تشكلان مدرسة مستقلة داخل الاتجاه الاخواني العام .

واهم مايميز التجاه الاخواني هو :

١-الاعتدال : ويقصدون بالاعتدال البعد عن اصدار الاحكام التكفيرية ضد الحكام او المنتمين ، كما بدا في مفهوم الاعتدال عندهم الميل الى الدعوة السلمية والمكث بعيدا عن استعمال القوة والميل الى المواجهة .

٢- التدرج في الخطوات :

يعتمد الاخوان منهجا اصلاحيا تدريجيا ذا مراحل ثلاث هي :

- مرحلة الدعوة والتبشير بالفكرة وبثها في الجماهير .
- مرحلة التكوين واختيار الانصار واعداد الجنود وتعبئة الصفوف .
- مرحلة التنفيذ والعمل والانتاج (٤٠) .

وهذه المرحلية التي تحكم سير الاخوان في التكوين تحكم الهدف الاخواني في الاصلاح اذ يرون اصلاح الامة يبدا باصلاح الفرد ثم الاسرة ، ثم المجتمع ثم الدولة ثم الامة (٤١) .

ويتوسل الاخوان الى اهدافهم بالوسائل التثقيفية والسياسية والتكوينية والخيرية والاجتماعية ، ولايرون الجهاد ضد الانظمة القائمة الان لانهم لايرون كفرها ، ويعتبرون الوقت عاملا اساسيا في عملية التغيير .

هذه اهم مميزات الاتجاه الاخواني الذي يوجهه ويحكمه التنظيم الدولي للاخوان المسلمين ويشمل الاخوان المسلمين في مصر والاردن وجناح من الاخوان المسلمين في سوريا والجزائر وبعض البلاد الاخرى ، وهو الغالب على الصحوة في موريتانيا ، ويمكن ان يصنف في هذا الاتجاه الجماعة الاسلامية في باكستان وبعض الحركات المتاثرة بهذا النهج

---

(٣٩) لقد تبرات الحركة من افكار سيد قطب على لسان مرشدها الثاني حسن الهضيبي

(٤٠) رسائل البنا ص٣٠

(٤١) " " ص٥٠

ومما يؤخذ على هذا الاتجاه المآخذ التالية :

١- غموض موقفه من الانظمة الحاكمة : انه من المعروف عند اهل السنة والجماعة ان الحاكم اما انيكون مسلما (ويشمل الفاسق) فهذا تجب طاعته ويحرم الخروج عليه واما ان يكون كافرا وهذا يجب الخروج عليه ومقاتلته ، وليس هناك قسم ثالث تشرع معارضته والعمل ضده ، وتجب طاعته وولاءه في نفس الوقت .

٢- عدم تحديد وسيلة واضحة للتغيير : ان الاخوان المسلمين رغم تجربتهم الطويلة مع مختلف الحكام والنظم لم يستطيعوا حتى الآن ان يحددوا وسيلة التغيير عندهم وبشكل واضح ، فهم في حين يتبنون التراث الفكري لحسن البنا - وقد احتلت فكرة الجهاد حيزا هاما منه - نجدهم يصرحون بنبذ اي شكل من اشكال العنف والالتزام بالمشروعية الدستورية .

٣- الترخص : لقد تميز الاتجاه الاخواني بتساهله في كثير من الاحكام الشرعية التي يأخذ فيها بأيسر الأقوال وان ضعف دليله ومسنده ومن ذلك بعض الفتاوي المتعلقة بالمرأة والغنى وسنن الفطرة والسلوك العام بل والعقائد أحياناً (٤٢) .

٤- التأثر بالحضارة الغربية :

إن الاتجاه الأخواني وإن كان يجعل من الرجوع إلي الكتاب والسنة سمة من سماته الا أنه -وسعيا منه لمواكبة العصر- أنصاع لضغط الحياة الغربية وثقلها في أذهان الناس حيث أصدر بعض قادة هذا الاتجاه الفكريين فتاوي تعارض نصوصا صحيحة بحجة أن الإسلام دين تحضر لايرفض أي جديد لا يصادم قواعده ومبادئه (٤٣)

ثانيا :التكفير والهجرة :

إذا كان التنظيم الإخواني قد رد الأفكار القطبية الواردة في كتاب (المعالم) فإن هذه الأفكار كانت محل ترحاب من فئات هامة من شباب الأخوان التقطوها من صاحبها داخل السجن ليواصلوا بها الطريق بعد مقتل صاحبها وكان أولئك الشباب نواة جماعة التكفير والهجرة

ويعود منشأ هذه الجماعة إلي ظروف السجون التي تعرض لها الإخوان في عهد جمال عبد الناصر وما صاحب ذالك من بروز أفكار الحاكمية عند سيد قطب حيث تلقفتها منهم مجموعة من الشباب الذين لم يرق لهم الفكر الإخواني الرسمي فعرفت هذه الجماعة في البداية بجماعة المسلمين وفيما بعد بجماعة التكفير والهجرة وهذا الإسم الأخير يشير إلي أهم أفكار الجماعة التي تدور علي :

١-تكفير المجتمع والحكم عليه بالخروج من الاسلام ولعلها أخذت هذه الفكرة من فهمها (للجاهلية) عند سيد قطب (٤٤).

---

(٤٢) تصريحات عبيدة المرشد العالي للتنظيم الدولي حامد ابو النصر

(٤٣) من ذلك فتاوى الشيخ محمد الغزالي في شأن ولاية المرأة ولاية عامة وفي حقيقة سن الحق للبشر (٤٤) يرى سيد قطب ان المجتمعات الاسلامية اليوم مجتمعات جاهلية لا لان كل فرد فيها جاهلي ولكن لان الانظمة التي تحكمها جاهلية

٢- وجوب الإنسحاب والهجرة من هذا المجتمع لإقامة المجتمع الإسلامي البديل منعزلا عن مجتمع الكافرين ، ولعلها أستقت هذه الفكرة مما يسميه سيد بضرورة التمايز بين صف المسلمين وصف الكافرين .

ومن الأصول الفكرية لدى هذه الجماعة ما جاء في كتاب "التوسمات" الذي نشره الدكتور رفعت سعيد في مجلة دراسات عربية ومماجاء فيه (إن أقامة دولة الإسلام يقوم علي أمرين :

١-تدمير الكافرين

٢- توريث المؤمنين الأرض ومن عليها

"لابد من الهجرة...لا إسلام ودولة تقام له إلابعد الهجرة ...فإن هلاك الكفار وتدمير دولتهم لا يأتي وهناك مؤمنون في وسطهم ، والسنة أن يخرج المسلمون من أرض الكفر ولا يبقي إلا الكافرون ، حين ذلك ينزل العذاب عليهم (٤٥) .

وأهم شخصيات هذه الجماعة هو شكري مصطفي الذي أعدم سنة ٧٨ .

ومن إفرازات مدرسة الإخوان المسلمين "الجهاد الإسلامي".

ثالثا : الجهاد الإسلامي

يري بعض المفكرين الإسلامين أن هزيمة ١٩٦٧ لم تضع الإتجاهات العلمانية والقومية موضع تساءل لوحدها ، بل حشرت معهم الإتجاه الديني الذي يمثله أنذاك الإخوان المسلمون ، فالإخوان المسلمون رغم أربعين سنة من عمرهم لم يستطيعوا الحلولة دون الهزيمة على رأي هؤلاء (٤٦) .

لقد أحدث حرب ١٩٦٧ هزة عنيفة في الأمة عموما وداخل الجماعة خصوصا وأثارت العديد من التساؤلات التي ظلت لا تجد جوابا كافيا إلي أن جاءت الثورة الإيرانية لتدفع باتجاه جديد قد يكون ظهر قبلها إلا أنها كانت محركا له ، ذلك الإتجاه هو إتجاه الجهاد الإسلامي الذي خرج عن الخط التقليدي عند الإخوان المسلمين سواء تعلق الأمر بمصر أوفلسطين أوغيرهما (٤٧) ، ونشير هنا إلي أن الجهاد الإسلامي أتجاه فكري لاتنظيم معين وان كانت توجد بعض التنظيمات التي تحمل هذا السم .

ويستمد الجاد الاسلامي افكاره من التراث الاسلامي بصورة عامة غير ان هناك شخصيات ذات تاثير قوي على فكر هذا الاتجاه ، من هذه الشخصيات سيد قطب الذي يحتل مكانة خاصة عند الجهاد الاسلامي لانه يمثل خط الرفض والتحدي والمواجهة والثورة ، بل ويرى الجهاديون انهم الطليعة الاسلامية التي تيحدث عنها سيد قطب ويمثل كتابه(معالم في الطريق)دليلا ومرجعا اساسيا عند هذا الاتجاه.

---

(٤٥) مجلة الوطن العربي ١٣-٥٣٩

(٤٦) راجع كتاب «الحركات الاسلامية في الاردن » ص١٦٨ موسى زيد الكيلاني

(٤٧) المرجع السبق

وكما اشرنا سابقا فان الجهاد الاسلامي اتجاه فكري تحمله جماعات متعددة اهمها: الجهاد الاسلامي في مصر ، والجهاد الاسلامي في فلسطين ، والجهاد الاسلامي في لبنان، وهذه التنظيمات وان كانت تجمع بينها فكرة اعتبار الجهاد وسيلة لا غنى عنها للتمكين للدين الا انها تفرق بينها قضايا اخرى تختلف باختلاف هذه الجماعات .

رابعا : الاتجاه السلفي (٤٨) : الاتجاه السلفي ليس تنظيما سياسيا او جماعة موجودة بل هو اتجاه فكري وروح تسري في كيان الامة يظهر على فترات تاريخية في هذه الامة.

والسلفية مشتقة من السلف لان اهم ما يميز هذا الاتجاه هو الرجوع الى السلف في فهم النصوص واستخراج الاحكام . والسلفية مدرسة متجددة على مر التاريخ ، فقد كان احمد بن حنبل ومن بعده بن تيمية اهم مرجع لهذا الاتجاه بعد عصر الصحابة والتابعين ، وتمثل حركة محمد عبد الوهاب (٤٩) المعاصرة ابرز وجوه هذا الاتجاه .

ومع ظهور الصحوة الاسلامية المعاصرة شكل هذا الاتجاه احد تشكيلاتها ، ومما يميز هذا الاتجاه :

١- البعد عن الرأي من جهة ، والتمسك بالنصوص من جهة اخرى ، وخاصة نصوص الكتاب والسنة .

٢- الاهتمام البالغ بتصحيح العقيدة .

٣- الرجوع الى السلف في فهم النصوص والتعامل مع الادلة خاصة في مجال العقيدة .

٤- الاهتمام بالاداب والسنن مثل تقصير الثوب واعفاء اللحية والاكل باليمين ، ومما يجدر ذكره هنا ان السلفية اصبحت ذات دلالات خاطئة عند اكثر الخاصة والعامة فقد استخدمت اصطلاحا للدلالة على اتجاه الافغاني ومحمد عبده ، مع انه اتجاه عقلاني بعيد عن السلفية ، كما تطلق ويقصد بها التطرف والتشدد وهذا امر ليس له دليل شرعي ولا اضطراد واقعي .

هذه اهم مميزات الاتجاه السلفي عموما غير انه داخل هذا الاتجاه توجد مدارس متعددة يركز بعضها على طلب العلم الشرعي وإشاعته في الامة مع ضرورة التمسك منه بالثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح .

في حين يوجد اتجاه آخر يرى سبيل اصلاح الامة في تخليصها من قبضة الطواغيت عن طريق المواجهة والصدام ، الاتجاه الاول يمثله محمد ناصر الدين الالباني وعبد العزيز بن باز ، والاتجاه الثاني تمثله جبهة الانقاذ في الجزائر خاصة زعيمها الفكري علي بن حاج ، والمجاهدون العرب في افغانستان .

---

(٤٨) المرجع السابق (مبحث السلفية)

(٤٩) راجع الفصل الاول من الباب الاول من هذا البحث

وقد تولد اخيرا من التلاقح بين الاتجاه الاخواني والاتجاه السلفي تيار جديد يجمع بين عقيدة السلف وسياسة الاخوان وينسب اليه جماعة من دعاة السعودية الشباب مثل سفر الحوالي ، وناصر العمر ، وسلمان بن فهد العودة.

وقد برز هذا الاتجاه بشكل واضح بعد حرب الخليج الثانية ، ويسميهم البعض بالسوريين نسبة للمفكر سرور زين العابدين صاحب المنتدى الاسلامي بلندن (٥٠)

خامسا: حزب التحرير الاسلامي (٥١) : وهو حزب سياسي تعتمد الدعوة لديه على وجوب اقامة الخلافة الاسلامية ، ومؤسسه تقي الدين النبهاني (١٩٢٩-١٩٧٩ م) وقد اسس سنة ١٩٥٢، وينهج هذا الحزب سرية بالغة تجعل من الصعب التعرف على كثير من اموره .

واهم افكار هذا الحزب :

١- انه يهدف لاقامة الخلافة الاسلامية في البلدان العربية ثم الاسلامية ليحمل الدعوة بعد ذلك لغير المسلمين .

٢- يتبنى الحزب الخيار السياسي للوصول للحكم ولا يستبعد الانقلابات العسكرية

٣- ويقسم الحزب مراحل التحرير الى ثلاث مراحل :

١) مرحلة الصراع الفكري : وتكتسب عن طريق الثقافة التي يقدمها الحزب .

٢) مرحلة الانقلاب العسكري :

وتكون بالتفاعل مع المجتمع عن طريق العمل الثقافي والسياسي.

٣) مرحلة تسلم زمام السلطة .

ومما يؤخذ على هذا الحزب تركيزه الشديد على الجوانب الفكرية والسياسية واهمال جانب العقيدة والتربية الايمانية .

- كما انه يعطي للعقل دورا اكبر على حساب الوحي.

- اصداربعض الفتاوى التي تخالف الصواب الفقهي عند عامة علماء الامة مثل مباشرة الاجنبية بشهوة وبدونها .

-وقوله بجواز ان يكون القائد في دار الاسلام غير مسلم

سادسا: جماعة الدعوة والتبليغ (٥٢)

مؤسس هذه الجماعةهوالشيخ محمد الياس الكاندهولي (١٣٠٣ - ١٣٤٦هـ)

وهذه الجماعة ليست تنظيما سياسيا ولا تشكيلا حزبيا ، بل هي جماعة تقوم على تبليغ الدعوة ونشر فضائل الاعمال مركزة على تربية القلوب وتزكية النفوس.

---

(٥٠) يصدر هذا المنتدى مجلتين هامتين هما مجلة (السنة) ، (البيان)

(٥١) راجع الموسوعة الميسرة للاديان والمذاهب المعاصرة ص١٣٦ -١٣٧

(٥٢)نفس المرجع السابق ص ١٧-١٩

واهم مميزات الجماعة :

١- التركيز على ترسيخ الصفات الست وهي :

- الكلمة الطيبة : لااله الا الله محمد رسول الله.
- اقامة الصلاة ذات الخشوع والخضوع .
- العلم مع الذكر .
- اكرام المسلمين .
- الاخلاص في العمل .
- الدعوة الى الله والخروج في سبيل الله .

٢-لا تتعرض الجماعة للمذاهب الفقهية اوالعقدية .

ويركزون تركيزا بالغا على التربية الايمانية .

ولا يتكلمون في السياسة نهائيا .

ولعل هذه الخصائص هي التي سمحت لهم بالانتشار الواسع في معظم بلدان العالم.

سابعا : اليسار الاسلامي (الاسلاميون التقدميون)

اليسار الاسلامي مولود جديد ظهر في نهاية السبعينات في تونس نتيجة لأزمة الفكر الديني فيها ، فظهر اتجاه عقلاني جديد يقابل اتجاه التدين التقليدي ، والاتجاه الاخواني من جهة اخرى .

وقد جاءت افكار اليسار الاسلامي في البداية ردة فعل عنيفة على النمط السائد في الافكار والهياكل داخل الحالة الاسلامية في تونس وخصوصا الاتجاه الاخواني فيها .

« وسرعان ما تطور الهجوم على الاخوان الى الهجوم على السلفية ...وتدرج الهجوم الى الهجوم على مدرسةأهل السنة جملة » ٥٣) .

وفي نهاية السبعينيات تميز هذا الاتجاه معبرا عن افكاره من خلال مجلة (21/15) وقد غير اصحاب هذا الاتجاه اسمه الى « الاسلاميون التقدميون » .

واهم افكار هذا الاتجاه هي :

١- النظرة الاعتزالية لنصوص الوحي - اي تقديم العقل على النقل

٢- اولوية العمل الثقافي : يري هذا الاتجاه أن المسالة الثقافية هي حجر الزاوية في عملية تحديث العقل العربي المسلم.

٣- النظرة التراثية : ينظر هذا الاتجاه الي التراث الاسلامي نظرة خاصة يرون انهم من خلال هذا التراث يكشفون عن المعوقات الفكرية والنفسية في وجدان الامة .

---

(٥٣) عن راشد الغنوشي في كتاب الحركات الاسلامية في الوطن العربي ص٣٠٢ مرجع سابق

٤- الاختلاف في الرأي هذا الاتجاه ليس امرا جائزا فحسب ، بل هو حتمية شرعية وسنة كونية لابد منها .

٥- يستلهمون كثيرا من افكارهم من الحضارة الغربية خاصة الاتجاه اليساري ، الشيء الذي يفسر تسميتهم الاولي (٥٤) .

وأهم اعلام هذا الاتجاه :

- حسن حنفي
- محمد فتحي عثمان
- صلاح الدين الكورشي

هذه اهم افكار واعلام اليسار الاسلامي ولايخفى ما لهذه الافكار من اخطار .

وبهذا نكون قد استعرضنا إجمالا أهم الاتجاهات الفكرية داخل الصحوة المعاصرة ، هذه الاتجاهات التي يمكن تقسيمها باعتبار آخر هو وسيلة التغيير عندها ، فحين نقسمها بهذا الاعتبار سوف نجد اتجاهين فقط :

١- الاتجاه المهادن الذي يري ان التغيير يمكن ان يتم بالوسائل السلمية ، ويضم هذا الاتجاه معظم الفصائل السابقة .

٢- الاتجاه المجاهد : وتمثله مجموعة التنمظمات الجهادية التي تؤمن بوجوب الخروج علي طواغيت العالم المعطلين لشريعة الله ووجوب مقاتلتهم وأن التمكين للدين لايمكن ان يتم الا عن طريق الجهاد عبر طريق طويل مليىء بالدماء والجماجم والاشلاء يبتلي فيه المؤ منون ويمحصون ، وبعد ذلك يمكن لهم ويستخلفون .

ومن ابرز دعاة هذا الاتجاه الشهيد عبد الله عزام ، وقادة الجهاد الافغاني والحركات الجادية في مصر وفلسطين ولبنان ، ويرجع هذا الاتجاه في كثير من افكاره الى كتابات سيد قطب.

والآن وبعد استعراض نشأة الصحوة وتطورها ثم التعرض لاهم افكارها نستطيع ان نلج الي الصحوة الخاصة في موريتانيا في الباب القادم .

ر(٥٤) راجع كتيب (المقدمات النظرية للاسلاميين التقدميين) صادر عن مجموعة من رواد هذا الاتجاه

الباب الثاني

الصحوة الاسلامية في موريتانيا

انتهينا من خلال المدخل والباب السابقين الي تقرير حقيقة الصحوة الاسلامية باعتبارها ظاهرة مواكبة لتاريخ هذه الامة ، وعرضنا بذلك لاهم الاتجاهات التي صاغت الخطاب الفكري لهذه الصحوة بصورة عامة .

ونحن في هذا الباب سوف نعرض للصحوة الاسلامية داخل هذا البلد (موريتانيا) فقط متتبعين الجذور التاريخية لهذه الصحوة من ناحية ومحاولين رصد تطور هذه الظاهرة ونشاطها وافكارها من ناحية اخري .

ومعني ذلك أننا سوف نخص المحور الاول (الجذور التاريخية للصحوة في هذا البلد) بفصل منفصل ، في حين نخصص الفصل الثاني للصحوة الاسلامية في هذا البلد(النشاط - التطور - الافكار.....).

الفصل الاول :

الجذور التاريخية للصحوة في موريتانيا

لايستطيع احد الجزم بالتاريخ الحقيقي للدخول الاول للاسلام الي هذه البلاد ، فبعض الروايات تقول انه دخل مع عقبة بن نافع في القرن الاول ، في حين تري بعض الروايات انه لم يدخل الامع حفيد عقبة حبيب بن عبيدة بن عقبة مابين سنة ١١٦-١١٧هـ (٥٥) ، ولعل هذا هو الارجح .

ومهما يكن فان الاسلام لم يعرف وجودا حقيقيا (علميا وجهاديا وسياسيا) في هذه البلاد قبل قيام دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري حيث استتب رباطا علميا وجهاديا في ظل نظام سياسي قائم ، وكان ذلك بعد ان استقدم الامير يحي بن ابراهيم الكدالي الفقيه عبد الله بن ياسين واستقدم من بعده الامير ابوبكر بن عامر جماعة من العلماء كان منهم ابو بكر الحضرمي ، وابراهيم الاموي ، وعبدالله الزيني ، فانضاف سلطان العلم الى سلطان القوة الجهادية فكان لذلك اعظم الاثر في حمل قبائل الصحراء على الدخول في الاسلام وتمثل مبادئه ورعاية حدوده واقامة شعائره (٥٦).

---

(٥٥) كتاب الجمهورية الاسلامية الموريتانية الصادر عن وزارة الاعلام سنة ١٩٨٧ ص ٦

(٥٦) المرجع السابق

لقد كانت دولة المرابطين هي البداية الفعلية للوجود الاسلامي (السياسي ، والجهادي ، والثقافي ، والفكري) في هذه البلاد.

وعبر التطورات اللاحقة عرف الاسلام تمايزا بين جوانب مختلفة منه ، فتميز الجانب السياسي والجهادي عن الجانب الثقافي والفكري في هذا البلد .

وذلك يملي علينا ان نتناول الجانب السياسي الجهادي في مبحث مستقل ، على ان نتناول الجانب الثقافي والفكر ي في مبحث ثان .

المبحث الاول : الاسلام السياسي والجهادي

بدأ عهد الاسلام السياسي والجهادي في هذا البلد مع دولة المرابطين (٥٧) كما اشرنا سابقا ، وكان ذلك بعد ان ادرك الامير يحي بن ابراهيم استعصاء اهل الصحراء علي الاسلام وتعاليمه دون وجود مدد ثقافي وعلمي وتجربة حية تنقل اليها من البلاد التي تركز فيها الاسلام من قبل وكانت فكرته ان يستجلب اليها بعض العلماء ، فكان ان مر وهو قافل من الحج بالفقيه ابي عمران الفاسي في القيروان فعرض عليه حقيقة الوضع في الصحراء وما يحتاجه في سبيل تركيز الوجود الاسلامي فيها ، فصادف ذلك رغبة في نفس ابي عمران الذي كان يتوق لاقامة دولة اسلامية تمكن للدين ، وتحقق الاستقرار بعد الفوضى ، وتواصل الفتوح والجهاد بعد التوقف ، وكان قد لقي مضايقات في المغرب الاقصى اضطرته الى الهجرة الى القيروان حيث لقيه الامير يحي سنة ٤٢٧ هـ (٥٨) .

وكانت نتيجة المفاوضات ان كتب ابو عمران للامير يحي الي تلميذه وكاك بن زلو اللمطي ، الذي ارسل معه عبد الله بن ياسين الفقيه الذي كان يتميز بسعة العلم وبعد النظر ووضوح المنهج والخطوات ، فبدأ بتأسيس مسجد كان منطلق الدعوة الاول في مجتمع ساد فيه الجهل وتفشت المنكرات واستحكمت العادات الجاهلية ، ثم اتبع ذلك بتاسيس رباطه المعروف على شاطئ المحيط الاطلسي في بلدة تسمى الآن (تيدرة) على الارجح تبعد حوالي ٦٠ كلم شمال انواكشوط .

وفي هذا الرباط كان الفقيه وبمؤازرة الامير(٥٩) يُعد الناس جسميا وعلميا وروحيا للجهاد ، ويتخير الانصار ، ولم يلبث حتي ازداد انصاره وكثر اتباعه من ستين الى الف رجل (٦٠) .

---

(٥٧) سبقت دولة المرابطين بدولة الملثمين في القرن الثاني ، لكنها لم تستقر وتتوطد مع انها اوصلت الاسلام الى كثير من بلاد السودان (افريقيا السوداء)

(٥٨) المرجع السابق ص٨

(٥٩) ولد الزين في بحث تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية تحت عنوان (الدعوة الاسلامية في موريتانيا بين الخويصيين والعلمانيين) ص٢١

(٦٠) عن كتاب (عبد الله بن ياسين) تأليف ابراهيم محمد حسين ص ٨٩ نقلا عن ولد الزين مرجع سابق

وبعد استكمال العدة ، والاخذ بالوسائل بدا عبد الله بن ياسين في تنفيذ اهداف دعوته التي حددها في خطابه لاصحابه « انتم الفئة التي ستنشر الدين وتحميه من جهل الجهال وعبث المفرضين ، ستخرجون قريبا لنشر الدعوة والجهاد » (٦١).

وبدأ عبد الله بن ياسين جهاده المقدس موجها جنوده ومخاطبا اتباعه « اخرجوا على بركة الله ، وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وابلغوهم حجته ، فان تابوا ورجعوا الى الحق واقلعوا عن ما هم عليه فخلوا سبيلهم ، وان أبوا ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (٦٢) وواصل جهاده فاخضع قبائل الصحراء للاسلام وتعاليمه بعد ان كانوا يتساهلون فيه كثيرا (٦٣) وقد أقام عبد الله بن ياسين حركته على اسس واضحة مكنتها منتحقيق الكثيرمن أهدافيا :

-فقد رفض لقبائل الصحراء الإقتصار علي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإغفال إقامة الحدود من قتل القاتل وجلد الزاني وقطع يد السارق ، وهذا يدلنا علي مبدإ شموليه الإسلام عند الرجل (٦٤) وصراحته في ذلك .

- كما أقام لحركته مجلسا للشورى حظي فيه الفقهاء بالنصيب الأوفر، وكانت صلاحيات هذا المجلس واسعة حيث كان يبت في شؤون الدعوة والجهاد ويختار الأمراء والقواد (٦٥)

-كما أحيى مهمة "الحسبة" في الإسلام عن طريق تكوين جماعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تُكسّر آلات اللهو ، وتريق الخمر ، وتراقب الناس في حياتهم العامة(٦٦)

كما أقام ابن ياسين تنظيما ماليا يقوم على جباية الصدقات المشروعة ورفع المكوس الجائرة (٦٧) فنظم الموارد والمصاريف ، فجمع المال واشترى السلاح وأنفق على الطلاب .

إن من شأن أية حركة تقوم علي الأسس السابقة أن تثمر وتؤتي أكلها ، وهذا يفسر لنا النجاح الكبير ، الذي حققته هذه الحركة ليس في الصحراء وبلاد السودان "إفريقيا السوداء" فقط ، بل وفي المغرب أيضا، وهكذا فبعد أن توغل المرابطون بجنودهم في ممالك السودان وانتصروا عليهم في معارك مشهورة توجه عبد الله ابن ياسين إلي المغرب لفتحه من جديد وكان ذلك بطلب من شيخه وكاك ، وقد فتح مع الأمير أبي بكر بن عمر بلاد المغرب وأخضعها للا سلام وظل يواصل جهاده إلي أن أستشهد سنة ٤٥١ في معركة البرقواطيين (قوم من الخوارج) (٦٨).

---

(٦١) نفس المرجع السابق (٦٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ص٢١٨ تاليف بروكلمان نقلا عن ولد الزين

(٦٣) المرجع السابق ص٨٥ (٦٤) من اشهر هذه المعارك ما جرى مع مملكة غانا المجاورة وقتل فيها الامير يحي بن عمر

(٦٣) كتاب الجمهورية الاسلامية الموريتانية ص٨ مرجع سابق

(٦٤) ولد الزين مرجع سابق ص٢٢

(٦٥) ، (٦٦) المرجع السابق

ولئن كانت حركة المرابطين قد فقدت عنصرها المحرك عبد الله ابن ياسين إلا أن تلامذته الذين صنعهم على عينيه كانوا أهلا لسد الثغرة وملء الفراغ ، فقد واصل أبو بكر ابن عمر الجهاد بعد أستاذه وثأر له من الخوارج ، وأدب الخارجين حتي أستقام له شأن المغرب الأقصي بمساعدة ابن عمه يوسف ابن تاشفين الذي تقاسم معه السلطة والجيش ، فتركه في المغرب وتوجه ابو بكر إلي الصحراء لإخماد فتن أستجدت فيها (٦٩))ومكث ابو بكر في الصحراء يدعو ويجاهد إلي أن قتل شهيدا سنة ١٩٤٨.

وكان موته إيذانا بمرحلة جديدة من الركود الإسلامي في هذه البلاد حيث عرفت البلاد فوضي سياسية جديدة ، لكنها فوضى من نوع خاص حيث تسيطر روح الإسلام ومفاهيمه بصورة عامة علي حياة الناس .

وظلت الحال كذلك إلي أن قدمت القبائل الحسانية في القرنين الثامن والتاسع حيث بدأت صراعات جديدة بين هذه القبائل والسكان الأصليين وأمتدت تلك الوضعية زمنا إلي ان جاءت محاولة ناصر الدين لإقامة دولته الإسلامية .

حركة ناصر الدين :

لئن كانت البلاد قد عرفت فراغا إسلاميا سياسيا بعد انتهاء دولة المرابطين إلا أن روح الجهاد وفكرة دولة الاسلام لم تمت ولم تتوقف فما ان قدم القرن الحادي عشر حتى تبلورت فكرة الدولة الاسلامية من جديد عند حركة الامام ناصر الدين التي عرفت بحركة التوبة ، وقد كان لهذه الحركة دور كبير في تاريخ هذا البلد.

لقد جاء ت حركة ناصر الدين استجابة لجملة مقتضيات سادت المنطقة آنذاك ، فقد مارس الحسانيون المهاجرون جورا سياسيا وصلفا سلطويا خطيرين ، الشيء الذي ولد تذمرا عند قبائل الزوايا سكان المنطقة الاصليين الذين يمتهنون (اي يجعلون مهنة)الدين والعلم .

كما كانت المناطق السودانية المجاورة لازالت فيها الكثيرمن عبدة الاصنام والاوثان قرب منطقة النهر.

وداخل مجتمع الزوايا نفسه يسود كثير من الجهل والانحراف عن منهج الدين القويم .

وامام هذه الظروف كان تجمع الزوايا بمنطقة (الكبلة) هو المؤهل الوحيد بحكم منزلته الدينية لانقاذ البلاد .

وداخل هذا التجمع كانت الفكرة تتبلور في راس ابي بكر ابن ابهم الملقب ناصر الدين (التشمشي) (٧٠)الذي اشتهر بالعلم والورع والصلاح، فاستغل منزلته باعتباره شيخا مربيا يلتف حوله الناس وترتبط به العامة ، فبدأ يجمع الناس ويعد العدة للمرحلة القادمة ، واستمرت مرحلة الاعداد الاولي ثلاث سنين بعدها بويع ناصر الدين بالخلا فة واشتدت شوكته .

---

٦٩) ولد الزين ص٦٣ مرجع سابق

٧٠) تجمع قبلي زاري يتواجد في منطقة الكبلة

وا رسل الي ممالك السودان وحذر سلاطينها من الظلم والاسترقاق فوجد استجابات كثيرة من شعوب المنطقة التائقة الي عدل الاسلام فثارت علي حكامها فكان كلما سقط حاكم عين ناصرالدين مكانه حاكما منهم (٧١) .

وفي هذه لاثناء كان الفرنسيون في السنغال ينظرون بعين الريبة الي هذه الحركة التي بدأت تسقط عروش حلفائهم وتمنع التجارة معهم وخاصة تجارة الرقيق.

وكان لهذه الحركة المبشرة بمشروع اسلامي جديد ومغاير وقع شديد ايضا علي القبائل الحسانية التي رأت فيها تهديدا لسيادتها السياسية ، وخطرا علي جباية اموالها غيرالمشروعة، فبدأت تتربص بهذه الحركة الدوائر وتتحين الفرص فكان ان ارسل ناصر الدين جا بي الصدقات الي احد رجال بني حسان يدعي بب بن احمد فرفض هذا الاخير دفع زكاة ماله واحتمي له بنو عمومته، فقاتلهم ناصر الدين علي منع دفع الصدقة فعرفت هذه الحرب (بشربب).

وفي ذات الوقت كانت فرنسا تعمل من الخارج لفك الصلة بين الحركة وبعض الامارات ذات الصلة بها في بلاد السودان.

وامام هذا التآمر الداخلي والخارجي علي الحركة رجحت كفة بني حسان فكسبوا المعركة في النهاية بعد انتصارات الزوايا الاولية، التي لم تلبث ان تلاشت بعد استشهاد امامهم ناصر الدين سنة١٨٥٠(٧٢)،واعقبت هزيمة الزوايا بفرض شروط قاسية عليهم من قبل بني حسان.

ولئن كانت حركة ناصر الدين قدهزمت في الضفة اليمنى للنهر السينغالي الا انهاعرفت انتصارات كثيرة في ذات الوقت علي الضفة الاخري للنهر فقامت الدولة الامامية فوتاتور ونشط الوجود الاسلامي في السنغال.

وبالجملة فان جميع التحولات التي حدثت في السنغال في القرن الثامن عشر مثل قيام دولة الانمة هي ثمرةعمل المرابطين (البيظان) (٧٣).

غيران اهم ما حققته حركة ناصر الدين زيادة علي ذلك هو قضاؤها علي عبادة الاوثان في المنطقة.

وهكذا كانت حركة الامام ناصر الدين تعبيرا واقعيا عن المشاعر الاسلامية المتشوفة الي دولة الاسلام والعدل فكانت جهدا حركيا موصولا بالجهاد المسلح لاقامة هذه الدولة

الاأن انعدام الاخذ بكافة الاسباب من جهة،وانقسام الصف الاسلامي من ناحية اخري والتآمرمن الداخل والخارج من جهة ثالثة كانت كفيلة بأ خماد الحركة

ولئن كانت الحركة اخمدت بسرعة كبيرة علي الجبهة العسكرية علي يد التحالف الفرنسي مع الملوك المخلوعين والقبائل الحسانية الا ان ذلك كان سببا غير مباشر في

٧٢- ولد الزين ص ٢٩ مرجع سابق

٧٣- ولد الزين ناقلا عن الخليل النحوي من كتاب(بلاد شنقيط المنارة والرباط)

اثراء وامداد الجبهة الثقافية والفكرية الاسلامية التي تفرغ لها الزوايا بعد هزيمتهم العسكرية الشيء الذي تمظهر في حركات دعوية منادية بتنصيب الامام وحركات جهالية دعوية لمحاربة المستعمر وخصوصا عند الشيخ ماء العينين وتلامذته حيث قاد مقاومة جهادية عسكرية وعلمية استمرت الي الثلاثينيات من هذا القرن .

علي ان الحركة السياسية والجهادية الاسلامية من زمن المرابطين الي عهد ماء العينين ومن بعده ما كان لها ان تو تي اكلها لولي الحركات الثقافية والفكرية التي وارتها من عهد عبد الله بن ياسين الي يومنا هذا وهذا ما سنتناوله في البحث القادم .

المبحث الثاني : الاسلام الثقافي والفكري

بطء تدفق الوجود الاسلامي المرابطي في هذه البلاد وجود علمي وثقافي هام منذ البداية، فبعد رباط عبد الله بن ياسين المعلم الاول استجلب الامير ابوبكر بن عامر العلماء: ابوبكر الحضرامي وابراهيم الاموي وعبد الله الزبيني وظل العلم يواكب حركة المرابطين مع مختلف مراحلها التاريخية وحتي بعد المرابطين كانت الحركة العلمية في البلاد تتوطد وتتعزز فخلال القرن السادس الهجري اسس تلامذة القاضي عياض والسبتي بعض المدن العلمية في البلاد ، فقد اسس الحاج عثمان وثلاثة علماء آخرين مدينة وادان وأسس الشريف عبد المؤمن مدينة تشيت(٧٤) .

وظلت هذه المدن حواضر علم ومراكز اشعاع ديني الي ان تاسست مدينة شنقيط سنة ٦٦٠هـ والتي اصبحت أهم مركز اشعاعي للعلم والثقافة في هذا البلد ، وخصوصا منذ القرن الحادي عشر حيث اصبحت علما علي كل هذه البلاد .

ولئن كانت تلك المدن مراكز علم ومعرفة الا ان البادية الشنقيطية ظلت هي الاخري منذ ذلك العهد ميدانا لحركة علمية ودينية نشطة حتي أنه يروى ان الموالي في مدينة تينكي المندثرة (القرن ١٠) كانوا يغنون علي الطبل بمقامات الحريري وان الاطفال في البادية كانوا يحفظون مدونة الامام مالك قبل البلوغ ، وانه كانت توجد في مدينة تينيكي السابقة ثلاث مئة فتات تحفظ الموطأ(٧٥) .

ولم يقتصر هذا الاشعاع المعرفي علي البلاد في الداخل فقط بل امتد الي الشرق الاسلامي الذي يروى ان الشناقطة أول من قدم درس اللغة في أهم مراكزه العلمية المتمثل في الازهر الشريف، كما امتد هذا الاشعاع العلمي عبر البلاد الافريقية المجاورة حيث حمله التجار والرعاة حاملين الاسلام ومبشرين بالعلم ، فربطهم علاقات روحية وطيدة مع سكان تلك البلاد الذين اسلموا علي ايديهم واخذوا عنهم العلم وبعض الطرق الصوفية.

وقد شمل ذلك كلا من السنغال وغامبيا والنيجر ومالي وغينيا والسارليون وساحل العاج ونيجيريا وغيرها (٧٦).

٧٤- كتاب الجمهورية الاسلامية الموريتانية ص٦ مرجع سابق . ٧٥، ٧٦- المرجع السابق ص ٧

والجدير بالذكر هنا ان التأثير الموريتانية علي البلاد الافريقية في هذا الميدان ليس وليد هذا العصر فقط، بل يعود الي ماقبل عهد المرابطين ففي القرون الهجرية الاربعة الاولي توغل الاسلام في الصحراء وتخوم السودان عن طريق الدعوة السلمية التي حملها الدعاة والتجار" (٧٧) .

وكان من نتيجة تلك الدعوة ان مدينة اوداغسط كانت في القرن الرابع مدينة مسلمة .

وكان المسلمون يحتلون مناصب هامة في مملكة غانا وكانت لهم مدينة متميزة الي جانب مدينة الملك(٧٨) ، كما أوصل الموريتانيون الدعوة الي مملكة اخرى مهمة هي مملكة تكرور المجاورة لهم جنوبا والتي اسلم ملكها وحمل رعاياه علي الاسلام والجهاد في سبيله منذ أوائل القرن الخامس(٧٩).

غير ان العطاء الاسلامي لهذه البلاد لم يصل في تلك المراحل ما وصل اليه فيما بعد القرن العاشر، وقد تميزت مدينة ولاته بدور خاص في هذا الميدان ، فمن مدارسها تخرج الدعاة والقضاة والاساتذة الاولون مثل محمد بن احمد ايد قاضي بلدة اكش في بلاد الهوصي (٨٠) "واليها يعود اصول الاسر العلمية الكبيرة التي ارست اسس النهضة الثقافية في تنبكتوا" (٨١).

والي جانب دور المدن كان دور الافراد لايقل تأثيرا عن دور المدن فقد توغل الدعاة في الشعوب الافريقية وداخل اجهزة الحكم في تلك الدول ، الشيء الذي سجله بعض الاروبيين الحاقدين بكل غيظ وخبث اثناء زياراتهم لتلك البلاد.

فالرحالة البرتغالي (كادامستو) يذكر ان ملوك الغرب الافريقي" كان يوجد دائما بحضرتهم بعض رجال الدين من الشعب الذي يسمي صنهاجة أو الغرب وهم الذين يظهرون وجه القانون للملك "(٨٢).

ويسجل الرحالة الفرنسي في القرن الحادي عشر "ان رجال الدين في البلدان او الشناقطة هم الذين نقلوا الديانة المحمدية الي الزنوج ولهذا كان لهم نفوذ قوي علي هذه الشعوب التي تنظر اليهم كأساتذة ومرشدين في كل ما يتصل بالدين والدنيا" (٨٣).

---

٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩- الدكتور جمال ولد الحسن ، مقال منشور في مجلة الصحوة عدد اكتوبر نفنبر ١٩٨٩

٨٠- ددوه بن عبد الله في (دور الشناقطة في نشر الثقافة العربية الاسلامية في افريقيا الغربية) نقلا عن المرجع السابق

٨١ ، ٨٢ -نفس المرجع السابق

٨٣-ولد الحسن مرجع سابق نقلا عن الخليل النحوي مرجع سابق

وقد كانت العلوم السائدة في المنطقة خلال هذه الفترة هي القرآن برواية نافع والفقه علي ، المذهب المالكي ، والعقيدة علي مذهب الاشعري ، واللغة علي مذهب البصريين والتصوف علي الطرق القادرية والشاذلية والتجانية ، وظلت هذه المنظومة المعرفية تؤطر دائرة المعارف الموريتانية الي ان جاءت سلفية لجيدري (٨٤)التي هزت البناء المعرفي السابق وخصوصا في ركن العقيدة والفقه والاصول فكان ذلك إيذانا لمرحلة جديدة للتفكير الديني تتجاوز عهد التقليد السابق الذي مع كثرة عطائه - ظل حبيسا لنمط معرفي معين يرفع شعار (ليس في الامكان ابدع مماكان).

ومع سلفية لجيدري التي عرفت محليا (ببدعة لجيدري) أخذ الفكر الديني في هذه البلاد منحا أخر ، فقد انتهج الرجل نهجا شبيها بنهج ابن تيمية في مدرسته في العقيدة فاصطدم مع الاشعرية الضاربة بجذورها في هذه البلاد.

ولئن كان الرجل قد وُوجه في البداية بمعارضة شديدة من طرف شيوخ البلاد ،الا ان فكرته لم تعدم انصارا ومدافعين عنها من بين علماء البلاد، فقد عرفت امتدادا مع باب ولد الشيخ سيديا (١٣٤٢) ومحمد فال ولد احمد بيب (١٣٤٩) ونادى هذا الاتجاه الجديد بالتجديد والاجتهاد والتفويض في الاعتقاد وظل يغالب الاتجاه المحظري السائد بذكره التقليدي السابق ، وظلت الغلبة دائما للاتجاه المحظري التقليدي بصورة عامة ، وظل الاتجاه الجديد محصورا في أوساط نخبوية الي ان وجد أول منبر رسمي مع بداه بن البصيري في انواكشوط مع بداية الستينات ، حيث كان احد اهم عوامل الصحوة الاسلامية في هذاالبلد .

وبإزاء سلفية لجيدري وافكاره كانت هناك حركة فكرية نشطة جندت العلم والمعرفة لافكارها العسكرية بعد الحظر العسكري الذي فرض علي حملتها -وهم من الزوايا- بعد شربب .

لقد ظهرت مع القرن الثالث عشر دعوات اصلاحية جديدة رافضة نتائج حرب (شربب)، وتدعوا الي اقامة حكومة اسلامية مركزية ، ونصب امام يوحد البلاد .

ومن ابرز الذين تزعموا هذه الحركة العلامة محنض باب بن اعبيد(٨٥) (١١٨٥-١٢٧٧) الذي رأي في نصب الامام فريضة شرعية بوجودها(يشفي من الاسقام) ويربط بين الجهاد الذي هو فريضة شرعية قائمة، ونصب الامام الذي يستحيل الجهاد بدونه ، موضحا ان المسلمين يشتركون في الاثم جميعا اذا تخلوا عن فرض كفائي واحد،(فمالايتم الواجب الا به فهو واجب).

٨٤- لجبدري لقب لمحمدن بن حبيب الله اليعقوبي تتلمذ على ابن بون واختلفا في مسالة كلامية ، صاحب مذهب متميز في الاصول والعقيدة ، اختلف مع علماء البلاد فالفوا في تضليله نقلا عن سيدي محمد بن حيلاجي (الشعر السياسي الاسلامي في موريتانيا ص٨

٨٥- عالم متبحر طالب باقامة مجتمع اسلامي ، له تصانيف كثيرة منها (الميسر الجليل على مختصر خليل) عن ولد حيلاجي مرجع سابق

حرض على نصب الامام فانه بـــدوائه يشفي من الاسقام
فرض الجهاد علي الانام فريضة يعصي إذا تركت جميع الانام

ويستنكر محنض باب الفوضى السياسية في البلاد التي لايمكن معها كف معتد ولارد محارب .

كيف الجهاد وكيف كف محارب في نشر فوضي بلا امام

ومحنض باب اذ يدعوا الي نصب الامام فانه يدرك حقيقة البلاد والفوضي التي تحكمها والتي لايمكن معها تنصيب امام الا اذاكان عن طريق الاقتراع والانتخاب .

فاغدوا علي نصب الامام بقرعة وابغوا بذلك نصحة الاسلام

اما الشيخ محمد المامي (٨٦) (١٢٠٦-١٢٨٣) فهو زيادة علي دعوته لنصب الامام فانه بين الوظائف والمزايا السياسية المترتبة على وجوده ، خصوصا في مجتمع الزوايا الذي يتعرض للاضطهاد الشديد من قبل حسان منذ (شرببّ) وشروطها القاسية التي فرضت على الزوايا فبوجود هذا الامام تُفض النزاعات وتُدفع المظالم ، وتُقام الحدود ، وتطبق الشوري وتتوحد الكلمة فتنكسر الشوكة الحسانية ، فأي أولوية اولي منه اذن

وننصب حاكما بالعدل يقضـــي فلستم بعده تتنازعونـــا
فينفي ظلم بعضكمُ لبعـــض وبالحد المقام تطهرونـــا
ويضحى أمركم شوري لديكـــم وتتفقون فيما تصنعونـــا
وتعرض عنكم حسان لمـــا رضيتم ملة الاسلام دينـــا(

واذا كان كل من منحض باب والشيخ محمد المامي قد دعا لنصب الامام بفعل عوامل داخلية بالدرجة الاولي ، الا أن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا(٨٧) ت (١٢٨٦ هـ) كرس دعوته للجهاد انطلاقا من الخطر الصليبي الزاحف من الخارج الذي انضاف الي الخطر الداخلي فأصبح الاستعمار الفرنسي مع (السيبة) الداخلية فكي كماشة تهدد الاسلام والمسلمين .

يقول الشيخ سيدي محمد مستنهضا الهمم لتخليص الدين من أسر اللصوص والنصاري :

حماة الدين إن الدين صـــارا أسيرا للصوص وللنصاري
فإن بادرتموه تداركـــــوه وإلا يسبق السيف البدارا

ويحدد الشيخ سيدي محمد الاسباب ويشخص ويبين العلاج ، فالداء هو ضعف الدين في النفوس ، والعلاج هو المبادرة بالجهاد .

رروم عاينوا في الدين ضعفـــا فراموا كلما راموا اختبـــارا
فإن أنتم سعيتم وانتدبتـــم برغم منه ازدجروا ازدجـــارا
وإن أنتم تكاسلتم وضعتـــم برغم منهم ابتدرن ابتـــدارا
فألفوكم كما يبغون فوضـــي حيارى لا انتداب ولا ائتمـــارا

٨٦-الشيخ محمد المامي بن البخاري عالم وشاعر له انظام في الجغرافيا والفلك والفقه دعى لفتح باب الاجتهاد والجهاد المرجع السابق

٨٧-عالم وشاعر من ابرز شخصيات الزوايا في منطقة الكبلة.

وبقدوم الاستعمار الفرنسي نشطت من جديد دعوات المقاومة والمقاطعة وتأييد المقاومين واتخذ ذلك أساليب متعددة كان منها المقاطعة الثقافية والمقاطعة الاقتصادية وحرمان المستعمر من المواد الاولية الضرورية لصناعته .

وفي هذا المجال نجد اجدود ولد اكتويشن ت (١٢٨٩) هـ يدعم محمد لحبيب أمير الترارزة ت (١٢٧٧) هـ في معركة (العلك) التي دارت بينه والفرنسيين في السينغال حيث يقول :

لاتعينوا بالعلك حزب النصـــاري ... أتعينون اثما كفـــــارا
فاقطعوا عنهم الشراء حـــــذارا ... أن يصيروا على الاذي احـــرارا
واذا ما اعنتموهم أســــــاءوا ... وأصروا واستكبروا استكبارا

لقد كانت دعواات محمدالمامي ومحنض باب والشيخ سيدي محمد وغيرهم زادا فكريا هاما كان له اكبر الاثر على حركات المقاومة ضد المستعمر مما احيي من فكرة الجهاد وضرورة ايجاد نظام سياسي اسلامي.

غير أن الفكر الاسلامي السياسي الذي كان قبل الاستعمار موحد الاتجاه والرؤية قد عرف مع مجيء المستعمر اشكالية جديدة تمثلت في الموقف من المستعمر الجديد فانقسم العلماء الي طائفتين طائفة تري في وجود المستعمر اخف الضررين لانه وان كان مرفوضا أصلا ، إ لا أنه جلب الامن الى البلاد .

وكان من رواد هذه الفكرة الشيخ سعد بوه ولد الشيخ محمد فاضل ، والشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا وفي مقابل هذا الاتجاه اتجاه أخر تمثل في مدرسة الشيخ ما ألعينين بن الشيخ محمدفاضل الذي رفض الاستعمار جملة وتفصيلا ورفع السلاح في وجهه فترة طويل ألحق به فيها هزائم كبري ، كان من اهمها مقتل القائد الفرنسي (كبلاني) سنة ١٩٠٥ م علي يد سيدي بن مولاي الزين كما رفع ماء العينين الحجة والبرهان في وجه مناصري فكرة بقاء الاستعمار ورد عليهم من خلال رسالته (هداية من جار الي في امر النصاري)

ومن انصار مدرسة الشيخ ما ألعينين الشيخ محمدالعاقب بن مايابة حيث يرد على الوثقين بعهود ومواثيق النصارى بقوله فاضحا احلامهم :

وعد النصاري كاذب وعدلهم ... جور ومبرهم وخيم المأكل
وسلمهم حرب وبذل مالهـــم ... تغلب بالكيد والتمـــــحل

ويبين انه لامجال لوجود المسلم في صف الكفار فولاية الله لا تجتمع مع ولاية غيره من الكفار.

لا تتراءى نار مسلم وكـــــا ... فر نهى عن ذاك خير مرسل
ومن يوال الكفر فهو منه من ... ولاية الله له بمعـــــزل

تلك كانت هي الوضعية قبل الاستقلال.

اما بعد الاستقلال فلقد كانت آمال المسلمين تتعلق علي الجمهورية الاسلامية الحديثة بعد جلاء المستعمر واخذ الاستقلال، الا ان الدولة الحديثة خيبت الامال واخلفت الوعود فبدل الحكم بشرع الله حكمت بالقوانين الوضعية ولاول مرة حتي ان عهد

المستعمر كانت المحاكم فيه اسلامية ، وبدأ لسان القرآن يهجر ويمتهن فهب العلماء والشعراء من جديد مؤكدين اسلامية هذا البلد وعروبته فهذا شغال ولد احمد محمود يقول مخاطبا رئيس الدولة الاول: المختار ولد داداه

فاحفظ وصات الله فينا وانتسب ... في العرب وانصر دينك الاسلاما
واقطع طريق الموبقات ولاتـــذر ... سيفا وما جردته صماصا مـــا
والضاد فانصرها فغير الضـاد لا ... يبقى لدى أم الكلام كـــلامـــا

ولم يكن شغال الا واحدا من شعراء وعلماء كثيرين نقموا على الدولة الحديثة فشكلوا بذلك رافدا مهما للصحوة الاسلامية الحديثة في موريتانيا التي ولدت في احضان دولة الاستقلال الحديثة ،الشيء الذي سوف نعرض له خلال الفصل القادم ان شاء الله

الفصل الثاني : الصحوة في دولة الاستقلال

في هذا الفصل سوف نحاول إيضاح الصورة العامة للوضع والاطار الخارجي الذي كانت تتحرك فيه الصحوة وتتطور ، وبعد ذلك سوف نحاول الدخول الي صلب الموضوع

،لي ،للصحوه تداعيات لفكره توصلنا ..... الي ان ذلك يقتضي تقسيم الموضوع الى مباحث عدة

المبحث الاول: الحالة العامة لدولة الاستقلال

لم تعرف هذه البلاد دولة تمر حركته منذ سقوط دولة المرابطين الي قيام دولة الاستقلال بوقد كان قيام دولة الاستقلال ثمرة جهود كبيرة وتضحيات جسام من قبل ابناء هذا الشعب المسلم

وقد تراوحت تلك الجهود بين الكفاح المسلح كالحركة الجهادية التي قادها العالم المجاهد الشيخ ماءالعينين والمقاطعة الثقافية التي دعا اليها العلماء والمقاطعة الاقتصادية التي تمثلت في حرمان المستعمرين من المواد الاولية كالصمغ العربي مثلا.

غير انه رغم جسامة التضحيات فان الثمار لم تكن علي المستوي المأمول والقدر المطلوب بل ان دولة الاستقلال كانت اخبث من دولة الاستعمار .

يقول كراي بن احمد يورة :

قد كنتم مستمسكين بدينكم ... وعلي محجة احمد البيضا ئي
والمشركون يسيطرون عليكم ... ورضوا لتلك الملة السمحاني

نعم لقد كانت دولة الاستقلال دولة علمانية بما في الكلمة من معني، لقد رحل المستعمر بجسمه ،لكنه بقي بروحه وفكره يملي سياسته لينفذها وكلاؤه من (إمالزن وكرميات)(٨٨)

---

(٨٨) إمالزن كلمة عامية تطلق على المترجمين ومفردها املاز -كرميات كلمة عامية تطلق علي الجنود الذين كان يسخرهم المستعمر لخدمة اهدافه.

وهم مجموعة من الممسوخين فكريا المبتورين حضاريا الذين كانوا يتعاونون مع المستعمر في عهد القطيعة مع المجتمع.

تلك هي اهم سمات دولة الاستقلال منذ بدايتها وحتي اليوم ، غير ان هذه الفترة عرف فيها النظام السياسي مراحل متعددة يجدر بنا الوقوف عند كل مرحلة منها ولو بايجاز .

واهم هذه المراحل مـــرحلة الحكم المدني من سنة ١٩٦٠-١٩٧٨ - ومـــرحلة الحكم العسكري من ١٩٧٨-١٩٩٢-.

اولا مرحلة الحكم المدني ١٩٦٠-١٩٧٨

تبدأ هذه المرحلة من تاريخ الاستقلال الي تاريخ الاطاحة بالنظام المدني علي ايدي العسكر وقد تولي حزب التجمع بزعامة المختار ولد داداه إدارة شؤون البلاد خلال هذه الفترة قبل ان تندمج معه احزاب المعارضة ليعرف باسم حزب الشعب وليظل مسيطرا علي البلاد الي تاريخ مجيء العسكريين سنة ١٩٧٨.

وقد تميزت هذه المرحلة من تاريخ البلاد بابشع مظاهر العلمانية والابتعاد عن الدين، فقد عطلت الحدود وبدل الشرع الاسلامي بالقانون الوضعي ، واللسان العربي بالرطانة الاعجمية .

يقول شغال :

ولكن البكاء يحق شرعا لما تلقي الشريعة من جمود
فمطلقها يقيد حين نافا قوانين النصاري واليهود
فاصبحت الحدود معطلات فوا حزنا لتعطيل الحدود

كما عرفت البلاد تحولات اجتماعية خطيرة، فقد رسخت المفاهيم القبلية، وانتشر التميع الاخلاقي والانحراف الوافد المدعوم من المؤسسات الاعلامية من صحف واذاعة....الخ.

وشهدت العلاقات العرقية اكبر تدهور لها في احداث ١٩٦٦ التي لم تكن الدولة عنها ببعيد .

كما كانت احداث عمال اسنيم سنة ١٩٦٨ شاهدا دانة لهذه الفترة من تاريخ هذه البلاد.

وعلي المستوي الاقتصادي، واصلت الشركات متعددة الجنسيات نهب خيرات البلاد وخاصة الاسماك، كما كانت ضربات الجفاف شديدة التاثير علي الثروة الحيوانية.

وعلي الصعيد الثقافي كان اللسان الفرنسي سيد الموقف والنموذج الغربي الاسوة الحسنة في حين ابعد اصحاب الاختصاصات الشرعية والعربية بل كانوا محل استهزاء وتندر.

ونظرا للوضع الذي المحنا الي بعض مظاهره سابقا فان النظام شعر بخطر عدم الاستقرار خاصة لعد احداث ١٩٦٦ و١٩٧٨ العنصرية المشار اليها سابقا.

وحاول النظام احتواء المعارضة الساخطة فعقد حزب الشعب مؤتمر التوضيح سنة ١٩٧٥، وقد كان من اهم نتائج هذا المؤتمر ضم المعارضة وخاصة اليسارية الي صفوف الحزب الحاكم فاصبح يعرف بحزب الشعب بدل حزب التجمع .

وبذلك خفت المشاكل الداخلية لتسمح للنظام بالتحرك الخارجي فوقع اتفاقية مدريد الثلاثية بين موريتانيا والمغرب واسبانيا بشأن الصحراء الغربية فدخلت البلاد حرب الصحاء المشؤومة التي جلبت علي البلاد والنظام متاعب اقتصادية وسياسية كبيرة دعمت الغضب الشعبي ، الامر الذي دفع بالنظام لا علان تطبيق الشريعة الاسلامية ليمتص غضب الجماهير التي خرجت في مظاهرات غاضبة مطالبة بتطبيق الشريعة سنة ١٩٧٨.

غير ان خسائر الحرب ومضاعفات الازمة لم تمهل النظام حيث بادر العسكريون الي الاطاحة به ١٠ يوليو ١٩٧٨ حيث بدأت المرحلة العسكرية من تاريخ البلاد.

ثالثا : مرحلة الحكم العسكري ٧٨ - ٩٢ م.

بدأت هذه المرحلة في العاشر من يوليوسنة ٧٨ عند ما أطاح العسكر بالنظام المدني السابق .

وقد جاء العسكر إلي السلطة يحملون معهم ثلاث شعارات هي (السلام -التقويم الإقتصادي -إعادة بناء المؤسسات الديمقراطية).

وفي سبيل تدعيم النظام العسكري لوجوده سار على نهج سلفه المدني في التعامل مع المعارضة ، فعزز وجوده بالتحالف مع الشيوعيين جناح M.N.D من جهة والإسلاميين (تياريي الجمعية الثقافية) من جهة اخري قبل ان يضرب M.N.D بمساعدة الاسلاميين وبتحالف النظام في البداية مع اهم القوى السياسية (القوميون العرب واليسار الشيوعي) استطاع استقطاب الحركات النقابية والطلابية ، ذات التوجه اليساري والقومي .

وعلى المستوي الاجتماعي حاول النظام ان يرضي فئة الحراطين عن طريق الغاء الرق ويخدع المرأة بالترويج لقضيتها.

غير اننا اذا تجاوزنا اللا فتات التي يرفعها النظام وحاولنا استكشاف الحالة الحقيقية للبلد اثناء الحكم العسكري وجدنا ان النظام لم ينجح في لعبته بل اضطر في الاخير الي ضرب بعض حلفائه ببعض كما حصل مع الشيوعيين حيث جند التيار الاسلامي الجمعيه الثقافيه في هذا السبيل ، كما ضرب حلفاءه القوميين العرب في اخر عهده .

وكمحاولة الانقاذ الوضع المتدهور في جوا نبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حاول النظام العسكري تشكيل حكومة مدنية عهد اليها بمشروع دستور جديد ، غير ان هذه الحكومة لم تلبث ان سقطت بعد رفض الشعب لمشروع الدستور الذي وقف ضده الاسلاميون وعبأوا الجماهير ضده .

وسعيا منه لتقديم بديل عن الحكومة المدنية الساقطة والتيارات السياسية المضروبة جاء النظام بنظام الهياكل (هياكل تهذيب الجماهير) .

وبموازات ذلك جاء قرار تطبيق الشريعة الذي عرف زخما كبيرا في عهد هيدالة وهذه النقطة بالذات تستدعي الوقوف عندها، ذلك ان فترة النظام العسكري -وان كانت مظلمة في عمومها-الا ان فترة هيدالة وبالذات قرار تطبيق الشريعة يشكل نقطة مضيئة في هذه الفترة ، ذلك ان هذا الرجل وان كان عسكريا جاهلا الا انه كان حسب ما يبدو صادقا في توجهاته (٨٩) الاسلامية وجريئا في تنفيذها ، وقد سعى جادا لاخراج تلك القرارات الي واقع ملموس .

الا ان الحالة لم تسعفه فالعلماء ليس لديهم مشروع اسلامي جاهز بل كل ما لديهم هو بعض الحدود والا قضية فقدموها له ونفذها .

غير ان الرجل اخطأ عندما لم يقرب الاسلاميين بالدرجة الكافية ، واخطأ الاسلاميون عندما لم يستثمروا ويستغلوا توجهات الرجل الذي اتخذ بطانة سوء لم ترض عن توجهاته الاسلاميه كمالنه لخطأفي تقدير الكيد الخارجي على تجربته الشيء الذي ظهرت نتائجه في الاطاحة به نتيجة لتآمر البطانة الداخلية والعدو الخارجي .

واذا كان هيدالة لم يفلح في اقامة الشريعة كنظام شامل ومنهج كامل الا انه خطي خطوات شجاعة في هذا المجال لازالت آثارها قائمة حتي الآن، وهي وان كانت معطلة من الناحية العملية الا ان مجرد وجودها في الوثائق الرسمية يعتبر انجازا في حد ذاته وان كان لايغير من تكييف الحكم على معطلها (٩٠) .

ان فترة هيدالة تعتبر بلا شك اخصب فترات العسكر فقد اثبت فيها قدرته علي كسب الانصار وضرب الخصوم وحاول فيها ان يرضي الجميع ويحكم الجميع .

هذا على مستوي الداخل ،اما علي المستوي الخارجي فقد اثبت قدرته على الصمود في وجه الضغط الموجه اليه من الخارج سواء تعلق الامر بالضغط الموجه اليه من قبل المؤسسات المالية والنقدية التي توجهها دول العالم الاول:(اوروبا وامريكا) حيث رفض الانصياع لشروط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ،اوتعلق الأمر بالمنظمات (الإنسانية) التي اقامت الدنيا ولم تقعدها احتجاجاعلي تطبيق بعض الأحكام المتعلقة بالحدود الشرعية ، حيث ظل يقيم هذه الحدد وإن كان في فترته الاخيرة اقامها سرا .

ونظرا لتوجهات هيدالة الإسلامية وصلابته امام ادوات الضغط الغربي ، والسخط الذي تعرض له من قبل التيارات الداخلية التي ضربها بلارحمة -وإن كان مصيبا في ذلك -إلاان ذلك عجل بعملية التآمر عليه للإطاحة به وليحل محله ولد الطايع الذي يرضي الغربيين من جهة والقوميون العرب والشيوعين من جهة اخرى .

---

(٨٩)تؤكد ذلك تصريحات من عايشوا الرجل عن قرب ومن هؤلاء الشيخ بداه بن البصيري (٩١) راجع الملحق في آخر هذا البحث .

فجيء به ليمثل آخر دور في المسلسل العسكر واول دور في المسلسل المدني وليزيد الاوضاع سوءا وليؤجج الحساسيات العنصرية والتي بلغت حدا لم تبلغه من قبل حيث شاركت الدولة رسميا وعلانية في عمليات القمع ضد المواطنين السود خاصة اثناء وبعد ازمة السينغال وموريتانيا ،الشي الذي لم يحدث في تاريخ البلد من قبل ،كما قبل بكل شروط البنك الدولي وصندوق النقد الدولي التي رفضها سلفه هيدالة ، وفي الميادين الاخري ازداد الوضع سوا وتغريبا ، هذه اهم ملامح الحالةالعامة في دولة الإستقلال هذه الحالة التي كانت الظرف التاريخي لميلاد الصحوة الإسلامية في موريتانيا والتي سوف نتعرض لملامح إرهاصاتها من خلال المبحث القادم .

المبحث الثاني : الحالة الإسلامية في دولة الإستقلال

بعد قيام دولة الإستقلال انتعشت الآمال في قيام دولة مسلمة بعد رحيل المستعمر وتولي ابنائه شؤونه وتدبير اموره ،غير ان الحكومة الجديدة قد اخلفت الوعود وتنكرت للدين وابعدت العلماء وعطلت الحدود وبدلت الشرائع واقصت لسان القرآن وجمدت لغته كما اشرنا سابقا .

وامام هذا الوضع تأجج الشعور الإسلامي فى البلد ضد هذا التوجه التغريبي مؤكدا هوية البلد الإسلامية ولسان دينه العربي وقد تجلي ذلك علي السنة الشعراء والخطباء فهذا شغالي ولد احمد يخاطب الرئيس إذ ذاك مذكرا اياه بمسؤليته اتجاه رعيته ودينه ولغته :

فاحفظ وصاة الله فينا وانتسب ... في العرب وانصر دينك الإسلاما
واقطع طريق الموبقات ولاتـــذر ... سيفا وماجردته صمصـــــاما
والضاد فانصرها فغير الضـاد لا ... يلقي لدى أم الكلام كلامـــــا

وفي هذا السياق نجد كراي ولد احمد يور يذهب في الإنكار علي التوجه العلماني للدولة الحديثة الي حد تفضيل عهد الإستعمار عليها

لانه لم يكن تدخل في الشؤون التشريعية والقضائية على الأقل فيذهب قائلا:

قد كنتم مستمسكين بدينكم ... وعلي محجة احمد البيضاء
والمشركون يسيطرون عليكم ... ورضوا بتلك الملة السمحاء

امابعد مجيء حكومة الإستقلال فقد عطلت الاحكام وبدلت التشريعات الشيء الذي يثير البكاء عند كراي :

ولكن البكاء يحق شرعا ... لما تلقى الشريعة من جمود
فمطلقها يفيد حين نافى ... قوانين النصاري واليهـود
فاصبحت الحدود معطلات ... فوا حزنا لتعطيل الحـــدود

ان شغال وكراي يمثلان الصوت الإسلامي المعاصر لدولة الإستقلال والذي يمثل امتدادا للأفكار الإسلامية لناصر الدين والأئمة من بعده وقد ازداد هذا الوعي وتعمق هذا الفكر مع إيغال الدولة في التغرب والعلمنة والتقليل من شأن اصحاب المعارف

الشرعية والعربية فبدأ نزوع عروبي شرقي تولد من ردة الفعل علي النهج التغربي للسلطة من جهة ، ومن المشاعر الإسلامية العربية المتأججة في الداخل بفعل الاحداث التي مرت بها الامة انذاك ، والتي من اهمها الثورة المصرية واحداث العدوان الثلاثي على مصر حيث كانت اذاعة صوت القاهر تغذي تلك المشاعر وتوجه تلك الافكار وكان الشعور الشعبي العام يبحث عن اية وسيلة تؤكد له انتماءه الشرقي .

والشيء الذى تلفت الإنتباه إليه هنا هو ان الدعوة الى العروبة لم تكن في بداية عهدها الاالوجه الاخر للدعوة الإسلامية فقد كانت توكيدا للإنتماء الإسلامي العربي لهذ البلد فقط ، فلم تكن هناك فلسفة قومية بالشكل المعروف الان .

وقد نتج عن ذلك ان دعاة العروبة كانوابالضرورة دعاة للدين اوهكذا تتصورهم الجماهير.

وبالرغم من استمرار نشاط التيار الديني التقليدي خلال هذه الفترة إلا أن البلد لم يعرف صحوة إسلامية تذكر إلا مع بداية السبعينات حيث بدأت الافكار الإسلاميةالتقليديه تنضج من جهة ، وبدأت افكار إسلامية جديدةتفد من جهة اخرى خاصة الافكار الاخوانية وقد كان ذلك نتيجة لعدة عوامل اهمها :

١-فشل المشاريع التغريبية في الوطن العربي وما بشرت به من إيديولوجيات قومية ووطنية .

كما فشلت الإشتراكية وما حملت من شعارات العدالة الإجتماعية ، وكان حظ العالم العربي وافرا من ذلك كله فقد كانت هزيمة١٩٤٨م نتيجة للتبعية الغربية كما كانت هزيمة ٦٧ نتيجة الذيلية الشرقية .

وشكلت هذه التجارب صدمة عنيفة للشعوب المسلمة التي بدأت تلتمس طريقها من جديد وتبحث عن منفذ لها فتوجهت إلى دينها ورجعت الى ربها واستمسكت بعقيدتها جاعلة من الدين حلا وحيدا لمشاكلها ومحددا أوحد لخيارها الحضاري وكانت موريتانيا جزء ا من هذه الأمة.

٢-شكل الخط العلماني الذي انتهجه حزب الشعب ردة فعل لدى العلماء والشعب فتوجهوا اولا الي التيارات القومية باعتبارها تيارات إسلامية عربية لا تناقض فيها بين الإعتبارين ، وبعد هزيمة ١٩٦٧ وانتفاش التيار القومي وظهوره على حقيقته توجه كثير من هؤلاء إلى الإسلام.

٣-وقد تزامن كل ذلك مع موجات النازحين بفعل الجفاف وكانت هذه الموجات قادمة من المجتمع الريفي الذي لا يزال على الفطرة الأولى لم يألف التحلل والتفسخ بعد فصدمته منكرات المدينة فتعالت الأصوات بتغيير المنكر والوقوف في وجه ا لإنحراف.

٤-هذا في الوقت الذي كان المبتعثون الى دول المشرق يعودون بالافكار الإسلامية الجديدة وقضايا الصحوة المعاصرةوخصوصا ما يتعلق بفكر الإخوان المسلمين كما كان الطلاب العائدون من الغرب يأتون مشبعين بنفس الأفكار التي تلقفوها عن الاتحادات الاسلامية الطلابية في الغرب والتي كان يرعاها الإخوان المسلمون بدرجة أولى .

٥-وبالإضافة إلي ذلك فهنالك أحداث تعرضت لها الأمة أججت المشاعر والهبت الحماس ، ومن أهم هذه الاحداث الثورة الإيرانية في عهدها الأول حيث ظهرت قوة تعلقت بها آمال المسلمين والمستضعفين فاعتبروها المنقذ لهم من هيمنة الغرب الصليبي والشرق الإلحادي .

وهنالك قضية فلسطين وفشل الحل العربي واستمرار احتلال بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين .

وهنالك احداث لبنان خاصة بعد الغزو الإسرائيلي وما أبدته المقاومة الإسلامية من المقاومة والجهاد ضد إسرائيل من جهة وضد الدول الغربية بصفة عامة من جهة اخرى مثل عمليات التفجير ضد البحريات الأمريكية والفرنسية .

زد علي ذلك ملحمة الجهاد الإسلامي في افغانستان هذا الجهاد الذي بهر أنصاره قبل ان يهزم خصومه فقد تجلي في افغانستان الوجه الحقيقي للإسلام المجاهد حيث استطاع هذا الشعب المؤمن الأعزل مما عدى الإيمان ان يهزم اشرس الجيوش واعنف القوات واكثرها وحشية في العالم

٦-هذا بالإضافة الي نشاط وزارة التوجيه الإسلامي التي أنشئت سنة٧٥ فقد نظمت بعض المؤتمرات لصالح الأيمة واساتذة المحاظر كما قدمت بعض البرامج عبر الإذاعة ونشرت بعض المقالات عبر مجلتها (البرهان)

٧-وقد صاحب ذلك كله دخول الكتاب الإسلامي المعاصر وبعض المجلات الإسلامية

٨- وفوق كل ذلك كان الحضور القوي للإسلام وسلطانه الفاعل في اذهان الناس عاملا اساسيا في عملية التحضير للصحوة الاسلامية، وهي ميزة تميزت بها هذه البلاد عن كثير من البلدان التي تأثرت كثيرا بالحضارة الغربية في وقت مبكر .

٩-قيام بعض المؤسسات الإسلامية مثل المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ومعهد بن عباس ولجنة المساجد والمحاظر ومدارس ابن عامر الاسلامية زيادة على الجمعية الثقافية الاسلامية، على ان بعض هذه المؤسسات جاء متأخرا عن البداية الاوليللصحوة .

كل هذه العوامل تضافرت وتفاعلت لتنتهي بميلاد الصحوة الإسلامية الحديثة في هذا البلد والتي بدات اول نواة لها في محضرة الشيخ بداه هذه المحضرة التي اضافت بعدا سلفيا جديدا للنظام المحظري في البلاد حيث بدات بمراجعة المسلسلات الخليلية (نسبة لخليل بن اسحاق صاحب المختصر المعروف) في الفروع بل دعت الى مراجعة اساسيات في العقيدة الاشعرية السائدة في البلاد الشيء الذى يعيد الى الاذهان فكر المحيدري والشيخ سيد محمد ولد الشيخ سيديا.

وقد شكل ميلاد الصحوة بفعل هذه العوامل نقلة هامة في ميدان الإسلام السياسي فلم يعد الإحتجاج على تعطيل الشريعة يتم بواسطة ابيات شعرية فقط على السنة بعض الخواص ، بل إن الإنكار في هذ المجال خرج من الإطار الخاص الي الإطار العام حيث اصبحنا نرى المظاهرات العامة في الشوارع وخطباء المساجد في الجوامع الكل يطالب بتطبيق الشريعة وتعطيل القوانين .

وكانت من اهم هذه الإحتجاجات مظاهرات ١٩٧٨التي انطلقت من المساجد بعد صلاة الجمعة مطالبة بتطبيق الشريعة في أخر ايام ول داده حيث اضطر النظام للاستجابة لمطالب الجماهير فأعلن قرار تطبيق الشريعة الإسلامية ، وهذا الإعلان وإن كان مجرد قرار الا ان مجرد الإقدام عليه لم يكن ليتم بدون ضغط فاعل من طرف فاعل .

وكانت هذه السنة بالذات سنة ١٩٧٨ أولى سنة يظهر فيها الإسلاميون الجدد المبشرين بالصحوة والإسلام السياسي حيث ظهروا ندًا للناصرين اللذين كانوا يتولون الدفاع عن الإسلام سابقا باعتباره صنوا للعروبة .

وتتويجا لمرحلة الميلاد وإرهاصات النهوض جاءت الجمعية الثقافية الإسلامية فشكلت بدايات الإنطلاقة الكبرى، وقد جاءت الجمعية نتيجة لجهود بعض المخلصين والمسؤلين ، وبمجيئها حدثت نقلة كبرى في تاريخ الصحوة في هذا البلد ، حيث احتضنت الشباب الذين كانوا لايجدون إطارا قانونيا للتحرك في مجال الدعوة ، كما وفرت لهم فرص اللقاءات وتبادل و تلقيح لأفكار من خلال مخيماتها الصيفية و مكاتبها الداخلية و انديتها

وقد عرفت الجمعية نشاطا كبيرا ايام محمد خونه ولد هيدالة الذي قربها واتاح لها كل الفرص ليضرب بها خصومه الشيوعين (٩١)

تلك هي الحالة الإسلامية في دولة الإستقلال بصورة عامة ، تلك الحالة التي سوف نرصد نشأتها وتطورها بشكل مستقل في البحث القادم .

المبحث الثالث : الصحوة الإسلامية في موريتانيا النشأة والتطور

ان التاريخ للصحوة الاسلامية فيموريتانيا امر صعب وذلك لاعتبارات اهمها :

-ان هذه الصحوة جديدة النشأة بالمقارنة مع الصحوات الاسلامية الاخرى .

- ان العنصر الوثائقي لهذه الصحوة ولطليعتها السياسية(التنظيم الاسلامي) شبه معدوم ، ومعظمه فردي اكثر مما هو جماعي رسمي...ومع ذلك فنحن - لاعتبارات منهجية تفرضها طبيعة البحث - عازمون في هذا البحث على تأطير تاريخي لهذه الصحوة معتمدين على المعلومات الشفهية في اغلب الاحيان .

<u>اولا : المرحلة التمارية العامة</u> :

تعود البدايات الاولى للصحوة الاسلامية في موريتانيا إلى النصف الاول من السبعينيات ، حيث كانت هناك عناصر متفرقة من الشباب بعضها حركته ثقافته الاسلامية المحلية ورغبته في الدعوة الى الخير وبعضها انفعل بكتابات اسلامية معاصرة حملها مسافرون عائدون او حملتها صناديق بريد .

---

(٩١) مقابلة مع محمد المختار كاكيه الامين العام للجمعية الثقافية الاسلامية

غير ان بداية التبلور الواضح كانت سنة ١٩٧٥ تحديدا حيث بدات نشاطات مطلبية اسلامية بادرت بها بعض الشخصيات الاسلامية ففي ٢٥ /٧/ ١٩٧٥ اصدرت جماعات المساجد وهو اسم اتخذه بعض الاسلاميين (٩٢) حينها عريضة مطالب دشنت بها انطلاقة الحضور العام ، وقد تضمنت هذه العريضة مقدمة عبرت فيها عن تاييد آخر القرارات الثورية حينها (مراجعة الاتفاقيات مع فرنسا ، انشاء العملة ، تاميم ميفرما ...) وايدت الاندماج العام في حزب الشعب الموبيتاني ؟وتضمنت نداء باسم الجماعة التي وظفتها قائلة (اننا نحن جماعات المساجد)الممثل فينا كل عناصر الشعب من تاجر صغير وكبير ، وعاطل ، وموظف سام ، وصغير ، وطالب ومعلم ، وشاب وشابة ، وكهل وكهلة ، وولد صغير يتعلم الصلاة ، واعمى يقاد اليها)مطالبة ان ينفتح عليها كباقي المجموعات والكتل ، ثم طالبت العريضة ب:

١-ان يكون الاسلام هو دين عضو الجمعية الوطنية وذلك هو احترام ارادة الاكثرية .

٢-جعل دستور الجمهورية الاسلامية الوريتانية هو دستور المسلمين (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) وذلك لسببين :

ا- الشعب مسلم كله فلا احد منه يعارض هذا

ب- العدالة بالنسبة لاية حكومة ان تحكم الشعب بالدين تعتنقه اكثريته .

جـ-ان نقاط التأخر الموجودة في الشعب عائدة للعادات السيئة لا الى الاسلام .

د- ان الاسلام هو العامل المشترك بين جميع عناصر هذا الشعب .

٣-الاعتراف لنا بهيئة جماعات المساجد اوهيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت يمكنها من تمثيلنا في موتمر الحزب الرابع القادم .

٤-تنقية برامج التعليم وخصوصا مادة الفلسفة مما يخالف ديننا .

٥- زيادة وقت وقيمة مادة الدين خصوصا في باب المعاملات .

٦- ترجمة بعض الكتب التي تعطي صورة حية عن سماحة الشريعة الاسلامية الى الفرنسية لتمكن المثقفين بهذه اللغة من التعرف على دينهم الحنيف (٩٣) .

بعد هذه الخطوة تواصلت محاولات الظهور والتبلور في ظرف التحقت فيه بهذه المجموعة شخصيات اخرى انفعلت بالخطاب الاسلامي ورضيته بديلا ، وهكذا اصدرت جماعات المساجد في ١٩٧٧ بيانا عنونته (بصرخة الاستغاثة) تناولت فيه الوضع الذي وصفته بالسوء وفساد الاخلاق والانحراف عن الاسلام وعددت مظاهره في :

- تعليم الفلسفة الالحادية .

-ارسال الطلاب للدول الملحدة قبل رسوخ العقيدة والسلوك الاسلاميين الصحيحين فيهم .

---

(٩٢) ضمت هذه الجماعة محمد فاضل بن محمد الامين محمود بن عبد القادر محمد بن الحافظ ، احمد الحاج جويلي بن احميد ، محمد عبد الرحمن بن محمد محمود

(٩٣) كتبت الوثيقة في اربع صفحات مطبوعة وسوف نرجع لها ان شاء الله بشيء من التليل والتعليق في مبحث الصحوة الاسلامية في الميزان من هذا البحث

-فتح الباب لدخول الكتب والمجلات التي تهدم الاسلام .
- جمع الذكور والاناث بعد البلوغ وفي عنفوان الشباب في فصل واحد .
-السماح بظهور المناكر كبضائع مشروعة البيع والشراء من خمر ولحم خنزير .
هذا كله مع عدم السماح بهيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
كما شاركت مجموعة من الشباب في مؤتمر شباب الحزب ١٩٧٧ عبرت عن الصوت الاسلامي لاول مرة في اللقاءات العامة .
ومنذ ذلك وتلك المجموعة تزداد وتنمو..فجاء الطلاب من البلاد العربية والاسلامية والاروبية متاثرين بالاخوان المسلمين ..وتم اكتساب بعض الشباب الذين كانت لهم توجهات سياسسية اخرى .
واستمر الامر الى نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات حيث بدات المحاولات لحركية والتنظيمية ..وقد اتسمت المرحلة التيارية هذه بجملة من المميزات:
١-كانت مجموعة الشباب الاسلامي فيها متقاربة المكانة والعلم ممافقد المجموعة عنصر القياده الرمزية وهذا امر ستبرز سلبياته لاحقا .
٢-كان الاسلوب السائد في العمل والانتشار هوالدعوة الفردية ، والتاثير الشخصي ، ولقد لعبت الكتب الاخوانية دورا كبيرا في ذلك خصوصا : كتب فتحي يكن ، وسيد قطب ، ومحمد قطب .
٣- وقوع اصطدمات بين الشباب الاسلامي وبين التيارات الاخرى خصوصا الشيوعيين والناصريين للخلاف العقدي مع الاول والتنافس السياسي مع الاخر .
٤- كان الانتشار الاسلامي مقتصرا -لاسباب عفوية وسياسية - على المجموعة العربية ، ومن المجموعة العربية على الزوايا ، ومن الزوايا على الرجال في الغالب ، وهو خلل في البنية الاجتماعية والعرقية للاسلاميين .
هذا وتعتبر هذه المرحلة مرحلة عطاء وفعالية هيأت لما بعدها .

ثانيا: <u>المرحلة الحركية والدعوية</u>

ويمكن التاريخ لهذه المرحلة من اواخر النصف الثاني من السبعينيات حيث بدات محاولات التنظيم الاولى والتي اخذت صورة اكثر وضوحا في مفتتح الثمانينيات ..... وفي هذه المرحلة استعار الاسلاميون اشكال التنظيم التي حملها المتراجعون عن الحركات السياسية الاخرى .. مع مسحة اخوانية املتها الادبيات الحركية لهم والتي انتشرت حينها ، وكانت النموذج الاسلامي المثالي عند الشباب في ذلك الوقت . وقد كانت المشاركة الاسلامية في نقابات المعلمين والطلاب ٨١ / ١٩٨٢ اهم مظهر عام لهذه المرحلة .

وبالرجوع الي البيانات المحدودة التي وزعها الاسلاميون حينها ذات التوقيعات المتنوعة والتي كان اوضحها منشور " الطلاب الاسلاميون" في المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للطلاب والمتدربين الموريتانيين .. نحس بالقفزة التي شهدتها الصحوة حينها ... فمطلب الشريعة الاسلامية اصبح بارزا تطويرا لما قدم في مسيرة ١٩٧٨ قبل سقوط النظام المدني ، ومركزة لمطالب اخرى حوله .. ، كما ان النقد الموجه للحركات السياسية الاخرى اخذ صبغة اشمل وربما انضج من سابقتها ..

ويمكننا القول ونحن نتحدث عن المرحلة الحركية ان الاسلاميين -فيما يبدو - لم ينجحوا في تقليد الحركات الاسلامية الاخرى في انشاء تنظيم اسلامي محكم قوي مما سيؤثر سلبا علي مسيرتهم في المستقبل ..

كما ان شخصياتهم التي افرزوها حينها لم يستطيعوا ان ينفذوا عملا فعالا في الساحة السياسية التي دخلوها (٩٤) .

غير ان هذه المرحلة تميزت خلافا لسابقتها بالدعوة الجماعية المفتوحة فقد انست الجمعية الثقافية الاسلامية التي كانت اهم منبر دعوي علني ، ورغم التباين الذي وقع فيها بين الشخصيات الاسلامية العادية (المحافظة) والشباب الحركيين فان الجمعية ظلت رافدا مهما للصحوة الاسلامية عموما وللصحوة الحركية خاصة .

كما انتظمت في المساجد حملة دعوية نشطة امددت لتشمل الداخل ولتحدث صيتا اسلاميا مشهودا ساهم بعد ذلك بفترة وجيزة بتعبئة الساحة الاسلامية مع قرار تطبيق الشريعة الذي اتخذه نظام المقدم هيدالة .... والذي لم يشكل الاسلاميون (التنظيم) حليفاله - على مايتصور الكثيرون - ولكنه التقارب والتفاهم الذي لايحمل اي معنى سياسي اواستيراتيجي ، وان كان قد تحالف مع تيار الجمعية الثقافية .

وفي هذه المرحلة استطاع الاسلاميون ان يبدأوا في غزو بعض الساحات الهامة وخصوصا الطلاب ، حيث بدأت خلاياحركية وحوارات جماعية تنظم في الثانويات والاعداديات ثم المؤسسات العليا ...الامر الذي ساهم في انطلاقة عمل طلابي اسلامي سيتطور فيما بعد .. ليصبح اكثر الفعاليات الاسلامية (الحركية) فعالية على دهن فيه

وقد امتدت هذه المرحلة في رأينا حتى ١٩٨٦، حيث بدأت مظاهر الانشغال الشديد بالعمل السياسي تطفو على السطح الاسلامي ، في حين بدأ الاهتمام بالجوانب الايمانية والتربوية يتراجع الشيء الذي ستكون له آثار خطيرة على بناء الشخصية الاسلامية

ويمكننا تميز المرحله الحركية هذه ب :

١-الانتشار والتمدد الذي عجزت المجموعة الحركية عن استيعابه، وهذه الميزة سوف تظهر بشكل اوضح في المرحلة المقبلة .

٢-بروز شخصيات دعوية متفيزة سيكون لها شأن هام في المستقبل .

٣- دخول لعبة السياسة دون التنبه لذلك مما تولد عنه عجز في توظيف المواقف واستغلال الفرص .

---

(٩٤) من ابرز الاعمال الخارجية ذات الصبغة السياسية التي مارسها الاسلاميون الامانة العامة لنقابة التطيم وعضوية القيادة النقابية الطلابية ، ولم يحققوا في الاثنين شي ينكر

٤-تجريب بعض النماذج التنظيمية التي كان اغلبها مزيجا من تجربة الاخوان .. وتراث السياسيين المحليين خاصة الناصريين الذين كان معظم اسلامي هذه الفترة قادما من صفوفهم

٥- الاغراق في السرية التنظيمية مما دفع بالبعض الى دفن كثير من وثائق هذه المرحلة (٩٥)

ثالثا : المرحلة السياسية

ورغم ان الاسلاميين بدخولهم النقابات وتأييدهم لقرارات رسمية قد مارسوا العمل العمي السياسي الا ان ١٩٨٦ موعد اول انتخابات بلدية عامة كان الموعد الاكثر مناسبةلتاريخ التسيس الاسلامي الموريتاني ... وان كان هذا التسيس سيتبلور بشكل اكثر وضوحا (٨٩ -٩٠) وقد تزامنت هذه المرحلة مع ورود كتابات اسلامية قد تتميز عن ادبيات الاخوان خصوصا في الاهتمام بالمسالة السياسية ولواحقها (٩٦) .

وقد كانت المشاركة التبعة في بلديات ١٩٨٦ والتي تمثلت في تأييد لائحة البيضان التي شكلها د : محمد محمود بن اماه والمصنفة جينها في المعارضة ..إيذانا بحضور سياسي اكثر تميزا وفي صف المعارضة الامر الجديد في تاريخ الاسلاميين ..

تزامن مع هذا الحدث اوسبقه بقليل ثم عقبه في بعض مراحله .. التطورات الطلابية النقابية التي شكل الاسلاميون فيها قوة مقدرة بالمقياس لحداثة نشزتهم . فقد ساهموا في معظم التجديدات القاعدية للنقابة مما اهلهم لان يشكلوا ثالث قوة في المؤتمر العام بعد الناصريين والقوميين الافارقة السود . واول قوة في معارضة التحالف المسيطر على الاتحاد.. واستطاع الاسلاميون في المؤتمر العام (١٩٨٦) ان يحققوا بعض المكاسب فافشلوا التحالف الثنائي . وقادوا المعارضة . وكانت نتيجة ذلك فشل المؤتمر وتجميد الاتحاد .

وهكذا واصل الاسلاميون حضورهم السياسي الذي ترجموه في مناشير يعبرون فيها عن مواقف وتحالفات يعقدونها هنا وهناك لنيل بعض المكاسب ارتحقيق بعض النتائج(٩٧) .

ولما جاء التجديد البلدي الاول فكر الاسلاميون في خطوة جديدة اكثر تميزا وفاعلية فكوّنوا بمساعدة اطراف اخرى لائحة الشورى التي قادها السيد الداه بن الشيخ ودخلوا حملة نشطة بذلوا فيها جهودا كثيرة على المستوى السياسيس والمادي ..

---

(٩٥) مقابلة مع محمد فاضل بن محمد الامين (٩٦) نشير هنا اساسا لكتابات الاسلاميين السودانيين والتونسيينوبعض ادبيات الثورة الاسلامية فيليران قبل النجاح وهي كتابات لاتخلو من بعض الانحراف راجع مبحث الافكار والمنطلقات من هذا البحث

(٩٧) رغم هذه المكاسب الجزئية فان السلبيات التي رافقتها كانت ارجح منها كفة . راجع مبحث الصحوة الاسلامية فيالميزان

وقد كان نجاح الشورى مكسبا سياسيا واعلاميا مقدرا لولا السلبيات الكثيرة التي حملها العمل نفسه فاللائحة كانت أحادية العنصر (البيظان) مما اثر على نظرة الاسلاميين الوحدوية ، كما كانت -سياسيا - اقرب الي السلطة مما اثر على التصنيف المعارضي للاسلاميين ، ولما انقضت التجربة البلدية بسلبياتها وإيجابياتها كان الاسلاميون على موعد مع ازمة الخليج التي وقفوا موقف معظم المركات السياسية الاسلامية العالمية مما اكسبهم بعدا شعبيا وزاد في تهميشهم في الوسط الافريقي الاسود وقد كانت أخر محطات المسار السياسي هي الديمقراطية الاخيرة التي واكب الاسلاميون حدثها متأخرين ، فبعد ان ضجت الساحة بالمطالب الديمقراطية وبعد ان انتظر الناس رضوخ النظام لهذه المطالب ، جاء منشور الاسلاميين قبل عيد الفطر مطالبا بالديمقراطية ومنددا بالنظام .

ولما اعلن النظام ديمقراطيته كان الاسلاميون من اوائل الذين عبروا عن ردة فعلهم وكان ذلك في منشور موزع انتقدوا فيه السلطة ورحبوا بالخطوة (٩٨)... بعد ذلك انشغلوا بترتيب بيتهم الداخلي استعدادا للتعددية ، وهكذا شرعوا في محاولة جبهوية علي غرار تجارب اسلامية اخري استدعوا فيها كل الفعاليات الاسلامية من رجال اعمال الي متصوفة الى نساء الى شباب ....الخ

وبدأوا التحضيرات اللازمة لانشائها فور الاعلان عن قانون الاحزاب ، إلا ان التناقضات الداخلية في المشروع (بين المعارضين والمؤيدين) ومساعي السلطة التي تنوي رفض الحزب الإسلامي .

كل ذلك افشل المشروع في بدايته مما جعل الاسلاميين يفكرون في بديل أخر ، الامر الذي قادهم في النهاية ممثلين في قيادات حركية معروفة للتحالف مع نظام ولد الطايع فدخلت هذه الشخصيات الحزب الجمهوري وحققت بعض المكاسب الشخصية .

اما القواعد الإسلامية وبعض الشخصيات القيادية فقد انتهجوا نهجا مخالفا فاختاروا صف المعارضة وأسسوا حزب الأمة الذي رفضته السلطة ،وواصلوا مشوارهم السياسي متحالفين مع المعارضة (اليسارية والقومية الافريقية)وداخلين معها خندقا انتخابيا واحدا (دعم احمد ابن داداه في الرئاسيات ومقاطعة التشريعيات)

ويمكن تسجيل الملاحظات التالية علي هذه المرحلة:

١-دخول العمل السياسي دون استراتيجية واضحة وهو ما يظهرمن دخول البلديات حيث لم تكن هناك مكاسب تذكر -إذا استثنينا المكسب الاعلامي-

٢-غياب الشعار التاريخي للاسلاميين "تطبيق الشريعة الاسلامية" والانشغال عنه بدخول حلبة الصراع السياسي.

٣-بروز تمايز مدرسي بين الاسلاميين، فاضافة الي المدرسة الاخوانية برز المتأثرون بالتيار السلفي وبرزمتأثرون بتيار الحركات التجديثية في الاخوان (السودان-تونس) وبرز متأثرون بالطرح الإيراني وإن كانت بوادر هذا التأثر سابقة علي هذه المرحلة .

---

(٩٨) راجع مبحث السحرة الإسلامية الافكار والمنطلقات زمبحث السحرة الاسلامية في الميزان

٤- تنوع التوقيعات ففي حين كانت منشورات النصف الاول من الثمانينات توقع ب"الاسلاميين" كانت مناشير التسعينات توقع ب: الحركة الاسلامية في موريتانيا".

٥-بروز خلافات علي السطح سببها تباين الإجتهادات السياسية.

٦-كما تميزت هذه المرحلة بالاتساع الأفقي للقاعدة النسوية داخل الصحوة فقد ارتفع عدد الملتزمات من النساء وانتشر الزي الاسلامي بشكل مفاجئ وسريع لفت الأنظار وأثارا لانتباه.

ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا ان هذه المرحلة كانت البداية الفعلية لصحوة المرأة التي كانت مهمشة فيالفترات السابقة ،حبيسة لصراع بين المحافظين والمتحررين (الاسلاميين) علي المستوي النظري فقط.

ولعل الفضل في هذه القفزة في صحوة المرأة راجع بعد الله إلي الجهود التي بذلتها الجمعية الثقافية الاسلامية من خلال نادي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي جاء استجابة لحاجة المرحلة ،وأثبت ان تميز العمل النسوي لوحده أجدي وأنفع ، وإن كان النادي لا زال يعتمد على جهود كثير من الأخوة الرجال في انشطته المختلفة سواء في مركزه في العاصمة او فروعه فيالداخل.

والحديث عن صحوة المرأة في موريتانيا يستدعي الا شارة الى نقاط هامة وحرية بالدراسة والتأمل ومن ذلك :

١-أن العمل النسوي في هذا البلد اثبت تفوق الجهد الدعوي العام على الجهد المركزي المركزي بشكل مذهل ومثير.

انه على الرغم من تاريخ الصحوة في هذا البلد العائد الي بداية السبعينات فان هذه الصحوة لم تستطع - بالجهد التنظيمي الحركي فقط - ان تحقق اية نتائج تذكر في ميدان المرأة الى نهاية الثمانينيات حيث كان الوجود النسوي الي هذا التا ريخ محصورا في عدد منالطالبات والمدسات يمكن حصرهن على رؤوس الأصابع.

اما بعد تجاوز المرحلة المركزية التنظيمية الى مرحلة الإندماج في الدعوة العامة والتوجيه الشامل فقد تحققت قفزة كبيرة وهامة فاجأت الاسلاميين قبل غيرهم ،وهذه الظاهرة جديرة بالدراسة للاستفادة منها مستقبلا.

٢- ان الوعي الإ سلامي النسوي كان اكثر انسجاماوروناما من الإنسجام على مستوى الرجال ففي الوقت الذي نجد فيه التباين الفكري يهدد الوجود التنظيمي على مستوى الرجال لانكاد نجد لهذا التباين اثرا يذكر على المستوى النسوي حيث تعلقن بالاسلام عموما دون التعصب المدرسي والتميز الفكري الخاص.

٣-انه خلال العمل النسوي المستقل تبين انه كلما كان الاعتماد في هذا العمل على المراة نفسها كانت النتائج اهم ، وكلما تدخل الرجل تزايدت سلبية العمل.

٤- ان المراة اكثر تاثرا بالدعوة واستجابة لها من الرجل في احيان كثيرة الشيء الذي يفسر ضيق دائرة الانحراف الظاهر على مستوى المراة عنها على مستوى الرجل داخل اطار الصحوة.

- وتدعيما لهذا التطور في صحوة المراة ، وتجوزا لمرحلة البناء الفردي - خطت الصحوة الاسلامية خطوة اخرى نحو بناء البيت الاسلامي فكانت تجارب عديدة وهامة في هذا المجال حيث تجاوزت المعايير التقليدية في هذا الاطار وجعل المعيار الاهم هو الدين .

وقد حظي العديد من تلك التجارب والمحاولات بالنجاح الشيء الذي يبشر بمستقبل هذا التوجه اذا لم تهمل فيه عناصر اخرى مهمة وذات تاثير قوي على مستقبل البيت الاسلامي.

٧-وبازاء هذا كله كانت هذه الفترة فترة ازدهار وانتشار فكرة الدعوة الى الله على طريقة جماعة الدعوة والتبليغ التي تأسس وتمركز وجودها خلال هذه الفترة وانتشرت انتشارا كبيرا تجاوز المدارس والجامعات (الاماكن التقليدية للاسلاميين) الى الاحياء والمساجد والمدن والقرى والارياف حيث غزت اماكن ومستويات جديدة لم يبلغها الخطاب الاسلامي المعاصر من قبل .

وقد كانت فكرة الجماعة وطريقتها من انسب ما يكون للانتشار في هذا المجتمع فقد حيدت الجماعة عنها عقبة السلطة -باهمالها للسياسة - وفتحت قلوب العامة ببساطة الخطاب وحرارة الايمان ، وتغلبت على بقية العقبات بروح التضحية العالية والاخلاص النادر والخلق المتميز .

والى جانب الانجازات الهامة التي حققتها الجماعة على المستوى الشعبي (فئات الحراطين -العمال اليدويين -المحظريين التقليديين ...) فقد شكلت الجماعة مأوى روحيا يأوي اليه الهاربون من جحيم السياسة والفكر الجاف من ابن بناء الصحوة الاسلامية التي طغت عليها السياسة في هذه الفترة واهملت الجوانب الروحية والفكرية بشكل لم يسبق له مثيل الشيئ الذي جعل الكثير من ابنائها يبحثون عن اي ملاذ ايماني يزكون فيه انفسهم ويصقلون فيه قلوبهم من ادران التسيس ورين الفكر البشري، فلم يجدوا غير جماعة الدعوة والتبليغ فارتموا في احضانها مع بعض التحفظ عليها .

٨-والى جانب جماعة الدعوة والتبليغ ودعوتها ذات الانتشار السريع بين العامة ازدهر في هذه الفترة الشريط الاسلامي المسموع والمرئي ، وحقق الشريط العامي (الحساني) رواجا منقطع النظير ، ويرجع الفضل في ذلك بعد الله الى الداعية المعروف محمد بن سيدي يحي الذي ساهم في اخراج الدعوة من اطار النخبة المثقفة الى الحياة العامة ، ومن عبارات مستعصية وافكار مغلقة الى قضايا يفهمها ويتبناها الجميع في لغة سهلة وميسرة .

وقد تميزت دعوة محمد بن سيدي يحي بمميزات نذكر منها :

١-انها تمزج بين التعليم الشرعي والتوجيه الفكري والدعوة

٢- كما تتميز بالروح الحماسية العالية والسخرية اللاذعة .

٣-واهم ماتميز به محمد بن سيدي يحي انتقاداته الشديدة للسلطة ، ومن تلك الخصائص ،اكتسب محمد بن سيدي يحي شهرة لم يكتسبها غيره ممن سبقوه في هذا المجال .

٩-نتيجة لاتساع القاعدة الاسلامية بفعل العوامل السابقة ، اصبحت توجهات الساحة هي التي تملي على الحركة اختياراتها في الغالب ، فالحركة لم تعد عاجزة عن استيعاب الساحة الاسلامية فقط بل اصبحت الساحة الاسلامية هي التي تتحكم في الحركة .

وقد تجلت هذه الحقيقة بصورة واضحة في الفترة الاخيرة عندما قررت الحركة الانضمام الى الحزب الجمهوري فرفضت الساحة الاسلامية هذا التوجه فاضطرت الحركة الى تبني خيار الساحة المتمثل في حزب الامة. ولاشك ان هذه الظاهرة ظاهرة صحية تنبئ عن نضج في الساحة لم تتح له الحركة فرصة التعبير عن نفسه .

١٠-كما شهدت هذه الفترة ظاهرة يمكن ان نصفها بظاهرة التفلت الاسلامي ، وقد ظهر هذاالتفلت في عدة اتجاهات :

١- تفلت اخلاقي على مستوى الشباب: حيث انتشر حلق اللحى، وشاع الاختلاط المشبوه وقل الاعتناء بالمظهر الاسلامي المتميز بل اصبح مبعثا للتنكيت احيانا من قبل بعض الشباب .

٢- تفلت تنظيمي : وكان على مستويين :

أ- مستوى مجموعات اسلامية (توصف بالسلفية والتشدد) شعرت بانحراف الطريق فبدأت بالبحث عن بديل فشكلت مجموعات اسرية تعنى فيها بالتربية والتعليم .

ب- مستوى مجموعات اصيبت بالفتور وخبو روح العمل ، واليأس فاخلدت الى بيوتها واعمالها الخاصة .

٣- تلفت فكري : حيث أثار التأثر ببعض المدارس الفكرية ذات الحظ اليسير من العلوم الشرعية والنصيب الكبير من التأثر باالافكار الغربية (الانسانية) وقد تجلت مظاهر هذا الانحراف في ميدان السياسة الشرعية(الانتخاب - التحالفات - القوانين الوضعية- الموقف من السلطة) وفقه العلاقة بين الرجل والمرأة ، واصول الاستدلال(٩٩) وهو ما سنتعرض له من خلال المبحث القادم

المبحث الرابع : الصحوة الأفكار والمنطلقات:

تميزت الصحوة الاسلامية في موريتانيا بالتأثر الشديد والتبعية المفرطة في الافكار والتنظيم تأثرا بما يرد اليها من كتابات وتجارب جاهزة ، وان كانت تلك الكتابات والتجارب صاغتها ظروف خاصة لاأثر لها ولاوجود في هذه الساحة .

والصحوة الاسلامية في موريتانيا وان كانت لاترتبطها علاقة تبعية تنظيمية مباشرة باية حركة اسلامية في العالم (١٠٠) ، الان تأثير مدرسة الاخوان المسلمين كان الاقوى والاهم في هذا الميدان .

---

(٩٩) - نذكر هنا المدرسة السودانية والتونسية (الترابي والغنوشي)، وافكار ظهرت اخيرا عند الغزالي

(١٠٠) اكد البيان الختامي الصادر عن المؤتمر التغييري للحركة الاسلامية في موريتانيا سنة ١٩٩٠على استقلال الحركة عن اية حركة او تنظيم خارجي

والى جانب مدرسة الاخوان كان هنالك حضور للفكر السلفي ثم فكر المدرسة التجديدية داخل الاخوان ، اي مدرسة الدكتور حسن الترابي والاستاذ راشد الغنوشي.

بالاضافة الي حضور اقل للفكر الشيعي خاصة الفكر الايراني وافكار علي شريعتي اما الفكر الاصلاحي الموريتاني فهو قليل الحضور جدا.

وفي هذا المبحث سوف نحاول رصد مظاهر التأثر بكل من هذه الاتجاهات .

اولا : الاتجاه الاخواني :

يرجع تاريخ التأثر بالمدرسة الاخوانية الى بداية عهد الصحوة في هذا البلد فالدعوة الاخوانية هي التي صاغت الخطاب الاسلامية لهذه الصحوة منذ بدايت تاريخها.

وذلك راجع الى ان اهم الكتب الفكرية والحركية الاسلامية في تلك المرحلة كانت كتبا اخوانية ،مثل كتابات حسن البنا والسيد قطب وفتحي يكن محمد قطب.

كما ان معظم العناصر والشخصيات الاسلامية التي كانت تدير العمل انذاك اخذت فكرتها الاسلامية عن الأخوان المسلمين ،امامباشرة كما هي حال الطلاب العائدين من المشرق المتأثرين بمشايخ الاخوان هنالك ، او بصورة غير مباشرة بواسطة النشر الاعلامي الاخواني .

وعندما نحاول رصد مظاهر التأثر بالفكر الاخواني في هذه الصحوة فانه يجدر بنا ذكر اهم خصائص الفكر الاخواني ومجال التأثر بكل خاصية على حده .

واهم هذه الخصائص :

١- شمولية الخطاب الاسلامي :

ان اهم ما ميز المدرسة الاخوانية هو فهمها الشمولي للاسلام فالاخوان المسلمون كما يقول مرشدهم الاول حسن البنا(طريقة سنية وحقيقة صوفية وحزب سياسي ونادي رياضي وجمعية خيرية وشركة اقتصادية ....الخ .

اي انهم يهتمون بتأصيل افكارهم وتهذيب نفوسهم وتقوية اجسامهم واصلاح سياسة الامة الى جانب عنايتهم بالمجتمع والاقتصاد ...الخ.

وقد كان لهذه الفكرة التجميعية تأثير كبير على الصحوة الاسلامية في موريتانيا بل نستطيع القول انها الفكرة الاكثر تأثيرا على الساحة الاسلامية في هذا البلد، فهذه الفكرة كانت ناظما اساسيا للعمل الجماعي الاسلامي في هذا البلد ، ذلك لانه ماكان للشتات الاسلامي المتناقض (وهابيون، صوفيون، فروعيون، اصوليون تجديديون، وفكر شيعي) ان يخرج منه تنظيم قائم وحركة قائمة تصدر القرارات وتتخذ المواقف الجماعية ، بل ماكان له ان يتعايش بسلام في ساحة واحدة فهذه الفكرة تجمع كثيرا من العاملين للاسلام الذين يختلفون في اشياء كثيرة (في العقيدة والحقيقة والطريقة والمذهبية، والسياسة والاجتماع.)

لقد وجد كل في هذه الفكرة ما يقنعه ويرضيه وان كان فيها ما يغضبه ويغيظه فهو يتشبث بمقولة البنا (لتتعاون فيما اتفقنا به ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) وهذه الفكرة وان كانت ذات مزايا في المراحل التجميعية الاولى للعمل الاسلامي الاانها ذات خطر في النهاية اذا لم تطرح وتوضح بان المقصود منها تعدد مجالات العمل

الاسلامي لا تعدد نوعيات وافكار العاملين للاسلام خاصة اذاكان ذلك التعدد يطال امورا اساسية مثل العقيدة واهداف ووسائل العمل .

وقد وقعت الحركة الاسلامية في هذا الخطر فبدلا من تنقية وتوحيد فكرة الصف القيادي للحركة على الاقل ظل الهرم التنظيمي للحركة يعيش تعددية عقدية وفكرية تنذر بخطر التفكك والانقسام في اي وقت .

٢- الجمع بين السلفية والتجديد (او الاصالة والمعاصرة).

المقصود بهذه الفكرة الرجوع الى الكتاب والسنة وفهم وعمل السلف والتعامل مع كل ذلك في ضوء الواقع ومعطيات العصر.

"فالسلفية تعني العودة الى الاصول ،الى الجذور ،الى المنابع (١٠١)

"والتجديد يعني المعايشة للعصر، والمواكبة للتطور والتحرر من اسار الجمود والتقليد(١٠٢)".

والجدير بالذكر هنا ان مفهوم السلفية عند الاخوان يختلف عن مفهوم السلفية عند السلفيين ، فالسلفية الاخوانية اكثر انفتاحا ، واقل انضباطا وتحديدا ، وتظهر اساسا بمنهج الاستدلال .

اما السلفية عند السلفيين فهي اكثر بروزا وحضورا ، فهي تظهر في اللباس والهيئة والسلوك ،كما تظهر في العقيد والعبادة ومنهج الاستدلال .

وقد كان لفكرة الجمع بين السلفية والتجديد الاخوانية تأثير هام هو الاخر على الصحوة في هذا البلد من الناحية النظرية على الاقل ، فمن خلال هذه الفكرة حافظ الخطاب الاسلامي على نوع من التوازن العام ، غير انه بدأ في الفترات الاخيرة يفقد شيئا من ذلك التوازن لصالح التجديد وعلى حساب السلفية .

وقد ساعدت فكرة الموازنة هذه على ضبط العلاقة بين الاتجاه السلفي والاتجاه العقلاني داخل الصحوة ، وان كانت هذه العلاقة تضعضعت في الفترات الاخيرة

ومهما يكن فان الصحوة الاسلامية في موريتانيا لازالت تجمع بين الفكرة السلفية والتجديد ، ولازال من بين عناصرها الفاعلة سلفيون ، وتجديديون ، وسلفيون تجديديون

٣- الموازنة بين الثوابت والمتغيرات :

المقصود بالثوابت المسلمات غير القابلة للتغيير والتجديد والتبديل ويشمل ذلك مجالات العقيدة اي فكرة الاسلام عن الالوهية والعبودية والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وعالم الغيب والشهادة ، فهذه امور عقدية غير قابلة للتغيير

وكذلك العبادات امور ثابتة قارة مثل الصلوات والصيام والزكاة والحج فهي امور لاتتغير فيها الاحكام ولا تتبدل

---

(١٠١) عن كتاب الصحوة الاسلامية وهموم الوطن العربي والاسلامي ص ٤٣

(١٠٢) نفس المرجع

ومن الثوابت كذلك امهات الاخلاق في علاقة الانسان بربه ونفسه وذويه والاخرين .ومما يدخل في الثوابت كذلك الاحكام القطعية الورود والدلالة التي استقر عليها الفقه وتواطأت عليها الامة (١٠٣) .

هذه هي الثوابت وهي ليست محل خلاف بين فصائل العاملين للاسلام .

أما المتغيرات فهي ما عدى ذلك مما يخضع للاجتهاد والفتوى ، على ضوء تغير الزمان والمكان ومصالح الناس .

وهذا ايضا لايثير خلافا عند التقرير المبدئي له ،غير ان الخلاف يثور عند التطبيق العملي له .

والصحوة الاسلامية في موريتانيا عموما تتبنى هذه الفكرة وتعمل بها(١٠٤) وان كان باب المتغيرات يتوسع احيانا على حساب باب الثوابت .

— هذه اهم خصائص الفكر الاخواني ذات التأثير على الصحوة الاسلامية في هذا البلد . وينضاف الى اثر تلك الخصائص اثر الفكر التنظيمي والحركي عند الاخوان على الحركة الاسلامية في هذا البلد ، وهواثر لم يتمحض او يتميز عن غيره من آثار الاتجاهات الاخرى ،حيث ان الحركة الاسلامية في موريتانيا لاتتبنى نظام الارشاد مثلا الذي تتبناه الفصائل الاخوانية في البلاد المختلفة وانما تتبنى نظاما هيكليا مختلطا.

وكما تأثرت الصحوة الاسلامية في موريتانيا بالجانب الايجابي من الفكر الاخواني تأثرت كذلك بالجانب السلبي منه ويتمثل ذلك في :

-غموض الفكر السياسي(١٠٥)

-الميل الى مهادنة الحكام والركون الى الاستسلام.

- التأثر البالغ بالحضارة الغربية .

- الترخص والتساهل في بعض الاحكام الشرعية والعقدية احيانا .

وهذه الجوانب السلبية في الفكر الاخواني كانت مجال ظهور التأثير السلفي في الصحوة الاسلامية في موريتانيا .

ثانيا: الاتجاه السلفي :

يجدر بنا اولا ان نوضح ما نقصده بالسلفية هنا فالسلفية مصطلح مستخدم للدلالة على اشياء متعددة ومتباينة .

— ان ما نقصده بالسلفية هو تلك السلفية التي تهتم اولا بتصحيح العقيدة والاعتماد على الكتاب والسنة وهدي السلف داعية الى الاخذ بالدليل الصحيح ونبذ الفرعية والتقليد ، متحفظة في مجال المرأة محافظة على ما تراه سننا وفضائل من هدي النبي صلى الله عليه وسلم حريصة على التميز، لاتقبل بالترخص والتساهل في الاحكام الشرعية مهتمة بالعلم الشرعي الصحيح .

---

(١٠٣) الدكتور الترضاوي مرجع سابق ص٥٥-٥٩

(١٠٤) يؤكد البيان الختامي للكة الاسلامية في موريتانيا (مرجع سابق) هذا المعنى

(١٠٥) راجع مبحث الصحوة الاسلامية في الميزان من هذا البحث

هذه هي السلفية التي نقصد هنا، ولايعني ذلك ان كل السلفيين في موريتانيا تتوفر فيهم تلك الخصائص، الا ان تلك الخصائص هي المميزات العامة لخطابهم الاسلامي .والتأثير السلفي في الصحوة الاسلامية المو ريتانية جاء متأخرا نوعاً ما اذا ماقورن بالتأثير الاخواني على هذه الصحوة .

وقد جاء التأثير السلفي نتيجة لبعض العوامل من اهمها :

١- عودة العديد من الدارسين في جامعات الخليج وخاصة السعودية متأثرين بمشايخهم السلفيين ومناهجهم السلفية .

وقد لعبت جامعات بذاتها دورا بارزا في هذا المجال مثل جامعة الامام بن سعود الاسلامية بالرياض والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ،وجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

٢- الانفتاح الذي عرفته البلاد على الدعوة السلفية من خلال سماحها باقامة بعض المؤسسات التي تقوم على نشر هذه الفكرة في جانبها العقدي على الاقل ، مثل معهد العلوم الاسلامية العربية في موريتانيا (معهد موريتانيا العلمي سابقا) التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، حيث كان لهذا المعهد دور ريادي وتأثير بالغ في نشر الفكرة الاسلامية على الطريقة السلفية .

ومثله مركز الدعوة والارشاد السعودي التابع للادارة العامة للبحوث والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية .

غير ان تأثير هذا الاخير اقل بكثير من تأثير الاول نظرا لما يقال عن صلته الوثيقة بنظام الامن السعودي الشيء الذي نفر منه العديد من ابناء الصحوة .

ومما يدخل في هذا المجال بعض الهيآت ذات الصلة الوثيقة بدول الخليج مثل رابطة العالم الاسلامي .

والآن نخلص الى مجال تأثير الاتجاه السلفي في الصحوة الاسلامية في موريتانيا .

١- في مجال العقيدة :

لقد كانت ومازالت هذه البلاد -شأنها شأن الكثير من بلاد المسلمين- مكانا ومرتعا لكثير من الشركيات والخرافات والبدع التي يحملها التدين التقليدي في كيانه .

كما كانت هذه البلاد مسودة في مجال العقيدة بالمذهب الاشعري .

ولما جاءت الصحوة الاخوانية الاولى لم تركز على محاربة تلك البدع والخرافات وتصحيح تلك الاخطاء ، نظرا لفكرتها التجميعية ، غير انها مع ذلك مهدت للاتجاه السلفي للقيام بمهمته تلك .

ولما ظهر الاتجاه السلفي كانت هذه الانحرافات رهدى اولوياته في التصحيح فحارب شركيات الالوهية والربوبية والتصوف المنحرف ، كما حاول تصحيح الاخطاء الاشعرية في العقيدة .(١٠٦)

---

(١٠٦) من اهم ما كتب في مجال العقيدة السلفية رسالة (تنبيه الخلف الحاضر الى ان التدريس لاينافي الاجراء على الظاهر) للامام باه بن البصيري

وقد كان لعمله ذلك اثر هام على مستوى الناس عموما وعلى المستوى الاسلامي خصوصا .

غير ان الاتجاه السلفي وان كان قد كسب بعض المواقف فانه خسر البعض الذي كان يمكنه كسبه ، لو استخدم الحكمة والروية.

٢- في المجال العلمي :

غني عن القول ان الفقه المالكي هو السائد في هذه البلاد وأن فروع هذا الفقه من اكثر الفروع ابتعادا عن الدليل .

وزيادة على تعصب اهل هذه البلاد للمذهب المالكي فانهم تعصبوا من هذا المذهب لما يراه ابن القاسم ويرويه حتي وان خالف ما كتبه مالك في موطاه او اشتهر عنه من غير رواية ابن القاسم .

— وقد حاول الاتجاه السلفي العمل على نشر فكرته القائلة بانه لايلزم من الاحكام الا ما ثبت بكتاب او سنة او اجماع او قياس جلي .

وقد سعى هذا الاتجاه الى نشر هذه الفكرة مستدلا عليها بالآيات والاحاديث واقوال السلف وائمة المذاهب أنفسهم ومحققي المذهب المالكي ذاته (١٠٧).

وقد كان لهذه الجهود اثر واضح متميز تلمسه في عدد الذين يخالفون المذهب الى السنة في احكام الطهارة والصلاة والصوم (١٠٨) وغيرها.

كما تلمس هذا لاثر في الصحوة العلمية التي فجرت الاهتمام بالدليل والعناية بالتأصيل وصحة الحديث وعلته الى أخره.

٣- كما ظهر اثر الاتجاه السلفي في المظهر العام لبعض الشباب متمثلا في لبس القميص والعمامة واعفاء اللحية وقص الشارب .....الخ.

٤- كما كانت بيوت اصحاب هذا الاتجاه اكثر تميزا ومحافظة من غيرها .

وقد حاول الاتجاه السلفي ان يكسب ساحة المرأة غير ان ذلك لم يستتب له بعد .

٥- على مستوى التكوين والبناء :

برز اهتمام الاتجاه السلفي بلتربية والتكوين المتريثين واضحا في دعوته التربوية وفكرته التكوينية .

ومما يمز الاتجاه السلفي ان انتشاره افقي لارأسي ، اي داخل الصحوة وخارج الحركة على عكس الاتجاه العقلاني .

ثالثا :الاتجاه العقلاني :

ترجع البداية الاولى للاتجاه العقلاني داخل الصحوة الموريتانية الى بداية الثمانينات عندما بدأت مظاهر التأثر بافكار (اليسار الاسلامي) ذات الطابع الاعتزالي تظهر لدى بعض الشباب الذين تلقفوا تلك الافكار من مجلة (15-21) التي كانت لسان حال ذلك الاتجاه .

---

(١٠٧) اهم ما كتب في هذا المجال كتاب المسالك في ان من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الامام مالك .(١٠٨) ظهر ذلك النزوع الى المخالفة للمذهب في احكام الوضوء (المسح على الجوارب ، عدم تجديد الماء لمسح الاذنين ، المسح على العمامة) وفي احكام الصلاة في القبض والرفع والتسليمتين ....الخ .

غير ان الاسلاميين يو مها حاولوا احتواء الظاهرة واشتثاثهافنجحوا في الاحتواء ولم ينجحوا في الاجتثاث ،حيث بقيت جذور هذا الاتجاه في اذهان العديد من الشباب لتنتعش في نهاية الثمانينات مع افكار المدرسة التجديدية ذات الطابع العقلاني التي يتزعمها الدكتور حسن الترابي وراشد الغنوشي ، وينحوا نحوها الشيخ محمد الغزالي .

وقد تسربت افكار هذه المدرسة الى هؤلاء الشباب من خلال بعض الكتابات الفكرية والسياسيةوالاجتماعية التي تنظر لمرحلة الدولة الاسلامية الحديثة من قبل هذه المدرسة .

وهذه المدرسة ذات اصول اخوانية عريقة ، الا انها خرجت عن الخط الاخواني التقليدي في جوانب كثيرة .

وفكر هذه المدرسة يشتمل على انحرافات خطيرة تتفاوة من شخص لآخر، فراشد الغنوشي مثلا يبشر بمشروع حضاري تتكاتف فيه الجهود الاسلامية والصليبية لينعم فيه الانسان بالسعادة ، ولايدعوا في هذا المشروع الى اقامة دولة اسلامية او تطبيق الشريعة الاسلامية مادام ذلك لم يحظ بالموافقة من قبل الجماهير(١٠٩)

وهو يرى ان الديمقراطية الغربية نظام يجب على المسلمين الاخذ به لانه يكفل الحريات للجميع ، حيث يتيح لكل التعبير عن رأيه واختيار معتقده حتي ولو كان خروجا عن الاسلام وردة الى الشيوعية والالحاد مثلا (١١٠)

اما الدكتور الترابي استاذ راشد الغنوشي فله آراء كان يوافق فيها تلميذه في السابق وتراجع عن بعضها في اللاحق ، فقد كان يومن بالديمقراطية الغربية ،غير انه بعد تسلم جماعته للسلطة غير رأيه وبدل قوله فرجع الى الصواب .

غير انه لازال يحتفظ برأيه القائل باسقاط حد الردة من العقوبات الاسلامية .

ويجمع بين اقطاب هذا الاتجاه تحفظهم الشديد في الاستدلال بالاحاديث حتى ولو كانت في الصحيحين المتفق عليهما ، فقد تميزت هذه المدرسة بردّ الاحاديث الكثيرة الصحيحة وتأويلها وتعطيلها في مواضع كثيرة اذا ما خالفت مصلحة عقلية او فهما لدليل آخر يوافق هوى في نفوس اصحابها .

وكان فارس هذه الفكرة الاخيرة الشيخ محمد الغزالي (١١١) .

وليس هنا مجال بسط افكار هذا الاتجاه ، وانما المقصود ذكر مجال تاثيرها في الصحوة الاسلامية في موريتانيا ، هذا التاثير الذي ظهر على المستويات التالية:

---

(١٠٩) عن مقابلات وتصريحات لراشد الغنوشي منها مقابلة مع القسم العربي لاذاعة لندن يوم الخميس ١٩٩٢/٧/٩ (١١٠) راجع الملحق لهذا البحث (مطلب الديمقراطية والعلمانية) (١١١) ظهر ذلك جليا في كتابه (السنة بين اهل الفقه واهل الحديث)

١- على المستوى الفكري :

لافكار هذا الاتجاه حضور كبير في شباب الصحوة وخاصة شباب الحركة ، الشيء الذي انعكس على جوانب فكرية عديدة للحركة ، خاصة الفكر السياسي (مثل الدعوة للديمقراطية، اقرار الدستور العلماني للدولة، التحالفات مع العلمانيين الشيوعيين))كما ظهر في منهج الاستدلال ، حيث تُرد الادلة الصحيحة وتُحرف اذا ما خلفت مصلحة عقلية.

٢- على المستوى الاجتماعي :

لقدظهر اثر هذا الاتجاه في الصحوة على المستوى الاجتماعي في الدعوة الى خروج المرأة واعتبار ذلك الخروج ضرورة ملحة وشيئا ضروريا ، كما ظهر في الدعوة الى الاختلاط والاحتكاك واعتبار ذلك تربية اجتماعية لابد منها للجنسين .

وظهر اثره ايضا في معارضة فكرة تعدد الزوجات والترويج لذلك .

رابعا : تأثير الفكر الشيعي:

لقد كان التأثر بفكر الثورة الايرانية في بدايته تأثرا عاطفيا بالدرجة الاولى ، حيث اقتصر في الغالب على قصائد وخطب تنوه باحداث الثورة وإمامها .

وقد حالت الحواجز التقليدية بين اهل السنة والجماعة في تجاوز التأثر لحد العاطفة والانفعال في الغالب .

غير ان ذلك لم يمنع من تأثر شريحة من الشباب الاسلامي بالفكر الثوري الايراني العام ، وفي حالات قليلة بالمعتقد والفقه الشيعيين ،وليس للفكر الشيعي حضور يذكر على مستوى الخطاب الرسمي للحركة الاسلامية .

خامسا: تأثير الفكر الاصلاحي الموريتاني :

نقصد بالفكر الاصلاحي الموريتاني الفكرة السياسية عند ناصر الدين والشيخ محمد المامي ومحنض باب ولد اعبيد (١١٢) .

وليس لهذا الفكر تأثير يذكر لاعلى مستوى الصحوة ولاعلى مستوى الحركة ، لانه لازال مطمورا فى رفوف المخطوطات فى الغالب ، ولم يوضع في متناول القراء، كما انه فكر عام يعتبره الكثيرون متجاوزا بالنسبة للتطورات المتلاحقة التى يعرفها فكر الدولة الاسلامية الحديثة .

المبحث الخامس : الصحوة الإسلامية في الميزان

قد يكون من السابق لاوانه القيام بعملية تقويمية لصحوة ناشئة لم تتمحص بعد ولم تنل حظها من الابتلاء .

غير اننالاعطاء صورة واضحة عن هذه الصحوة ملزمون بوضع هذه الصحوة في الميزان حتي تظهر على حقيقتها وبحجمها .

---

(١١٢) راجع مبحث الاسلام الثقافي والفكري من هذا البحث

ونحن بهذا الصدد سوف نعتمد طريق الانصاف وميزان القسط ذاكرين مالهذه الصحوة وماعليها .

اولا: مكاسب الصحوة :

ان الصحوة الاسلامية الناشئة في هذا البلد رغم عمرها القصير نسبيا وتجربتها المحدودة قد خطت خطوات الى الامام فكسبت وانجزت في ميادين وعلى جبهات مختلفة ، وذلك اذاما قورن وضع ماقبل الصحوة مع الوضع الان .

لقد كان الوضع قبل الصحوة تتحكم فيه شرور العلمانية على مستوى الفكر السياسى وتنحسر فيه القيم في مجال الاخلاق ، تسود فيه روح الثقافة الغربية والرطانة الاجنبية وتخلو فيه المساجد من الزوار الذين يزدحمون على مجالات الفساد .

من هذه الوضعية الاسيفة والصورة المظلمة انطلقت الصحوة الاسلامية في بداية السبعينات لتضعنا في بداية التسعينات امام الانجازات التالية :

١- على المستوى الحركي :

لقد نجحت الصحوة الاسلامية في ابراز تنظيم حركي له هياكله واهدافه ووسائله وان كان ليس على المستوى المطلوب .

ومهما يكن دخن هذا التنظيم الفكري والعقائدي وهشاشته التنظيمية ، الا انه يجد ذاته انجاز يمكن تطهير وتطويره .

لقد ساهم هذا التنظيم في ايجاد حس تنظيمي وروح حركية ما يشعر معها العديد من ابناء الصحوة بشيء من روح الانتماء وضرورة الوحدة والعمل الجماعي ، الشيء الذي حافظ حتى الان علي وحدة العمل التنظيمى وحال دون انقسامه وتشرذمه رغم العوامل الكثيرة الداعية الى ذلك الانقسام .

ومما يجدر التنويه به هنا ان الصحوة الاسلامية في هذا البلد حافظت حتى الآن -رغم تعدد مشاربها- على وحدة العمل التنظيمي من خلال الحركة الاسلامية في هذا البلد.

وهذا نجاح لم تستطع الصحوة في كثير من البلاد الاسلامية ان تحققه بل لم تكتف بالتعددية التنظيمية فقط ، حتى زادت على ذلك بالتطاحن والتشاحن فيما بينها .

كما ساهم هذا التنظيم من خلال تجاربه في تكوين بعض العناصر والاطر في مجالات ذات اهمية في المستقبل.

وساهم كذلك في ايجاد فقه تنظيمي وحركي لازال ناشئا .

كما حاول هذا التنظيم ان يكون لسان حال الصحوة الناطقة باسمها .

٢- على المستوى الدعوي :

لقد كان انجاز الصحوة في مجال الدعوة اكبر واوفر فقد افرزت مؤسسات دعوية هامة وانجبت اوجها وشخصيات ذات مكانة وتقدير .

واستطاعت الصحوة من خلال تلك المؤسسات وهذه الشخصيات اخراج مسالة (الاسلام السياسي) من الاطار النخبوي الضيق الى الميدان الجماهيري العام .

واهم تلك المؤسسات التي انجزتها الصحوة وافرزتها الجمعية الثقافية الاسلامية ولجنة المحاظر والمساجد بالاضافة الى جماعات الائمة والدعاة (جماعة الدعوة والتبليغ مثلا) .

وقد كانت الجمعية الثقافية ذات الدور الريادي في هذا المجال لما قدمته للعمل الاسلامي في هذا البلد . فقد احتضنته وليدا ، ورعته يافعا وقدمت له الدعم على مختلف الاصعدة .

ولقد كانت بحق الام الرؤوم للصحوة الاسلامية في موريتانيا .

هذا في حين كانت لجنة المحاظر والمساجد تشكل الخطوط الخلفية والروافد الهامة للصحوة لما تقوم به من رعاية المحاظر وشيوخها وطلابها الذين هم المادة الخام للصحوة الاسلامية . وبما تقوم به كذلك من بناء المساجد التي هي الحصن الاول والمعقل الاخير للصحوة .

وبما ان كلا من هذه الهيئات معترف بها رسميا فقد شكلت بذلك (غطاء شرعيا) لكثير من الانشطة الاسلامية السرية .

كما كانت هذه الهيئات همزة وصل بين بين العاملين للاسلام ورجال الاعمال في الداخل والخارج مما كانت له مزايا مادية ذات مردودية هامة على الصحوة .

زد على ذلك انها استطاعت توظيف وتفريغ العديد من الشخصيات الدعوية والعلمية لخدمة الصحوة .

اما جماعة أئمة المساجد فقد شكلت منبرا مهما ساهم في تنسيق جهود الائمة وتقارب نظرتهم الشيء الذي انعكس ايجابيا على مستوى نقل كثير من هؤلاء الائمة الى مرحلة الحد الادنى من الوعي الاسلامي المطلوب .

وكذلك كان من ايجابيات نشاطات الائمة تنوير الرأي العام واعلامه بالمنكرات الرسمية وغيرها من خلال خطب الجمعة الموحدة .

وبجهود بعض هؤلاء الائمة اقيمت واستمرت دروس مهمة في بعض المساجد مما ساهم في نشر الوعي الشرعي والواقعي بالمسألة الاسلامية .

وعلى المستوى الفردي كان للشخصيات التي افرزتها الصحوة في مجال الدعوة دور هام اكدته التجارب التي يوضع فيها الاسلام الجماهيري من خلال هذه الشخصيات موضع اختبار .

ولعل تجربة حزب الامة والتفاف الجماهير حوله (في البداية) وتخليها عن الخيار الرسمي للحركة الاسلامية خير دليل على ذلك .

بل ان الشخصيات التي افرزتها الصحوة العامة ، كانت اصلب عودا واقوى شوكة من تلك التي تتربع على عرش التنظيم الخاص . الشيء الذي تؤكده مواقف كثيرة لعل أخرها تجربة حزب الامة نفسه .

فيفى حين استسلمت القيادات التنظيمية للانذار المسلح الذي وجهته لها السلطات الرسمية محذرة اياها من تشكيل حزب اسلامي- كان الرفض والتحدي سمة طاب الشخصيات الدعوية العامة من خلال مبادرة حزب الامة .

كما ان لاعتقالات والاستجوابات كانت دائما من نصيب هذه الشخصيات التي كانت تصرح وتعلن بمعارضها للمنكرات الرسمية .

كما ان التحام الجماهير بهذه الشخصيات اكبر واظهر من التحامهابالشخصيات الاسلا مية التنظيمية .

وعبر الشخصيات الدعوية العامة ، انتقل الاسلام السياسي من حيز النخبوية ى ميدان الجماهيرية ، فلم يعد حبيس الخلايا التنظيمية ، او رهين الجلسات السرية بل اصبح حديث الساعة وهم الساحة ، مما دفع بالعديد من وسائل الاعلام المحلية والدولية الى افراده وتناوله بالتحليل والتعليل .

وعلى ايدي هذه الشخصيات انطلق الاسلام من منطلقه الصحيح الاوهو المسجد فمن المسجد انطلقت الدعوة الاسلامية الجماهيرية ، وارتبط الكثير من الناس بالمسجد من خلال الدعوة وارتبط الكثيرون بالدعوة من خلال المسجد.

والتركيز على المسجد مسألة مهمة اغفلها التنظيم الاسلامي الذي جعل من البيوت والمكاتب مكان لقاته الخاصة ، الشيء الذي انعكس سلبا على عملية الكسب عنده ، كما انعكس في ضعف الجانب الروحي عند افراده بصورة عامة .

٣- على المستوى السياسي :

وعلى المستوى السياسي كان انجاز الصحوة محدودا جدا ،بل ان خسارتها اكبر من ربحها وعطبها يغلب على كسبها .

وذلك ليس راجعا الى نقص فى التضحية او تقاعس في البذل والعمل ، بل انما بذل فى هذا الجانب من الطاقات المادية والبشرية لم يبذل في اي ميدان آخر ، وما لاقاه ن التحمس والتفاعل لم يحصل مع اي نشاط آخر.

لكن المحسبة ان كل ذلك لم يتم بطريق شرعي قويم ، ولامنهج سياسي سليم .

صحيح ان الصحوة استطاعت ان تدخل الميدان الساسي ، مشاركة ،ومستقلة والية ومعارضة .

وصحيح انها ادخلت الهم السياسي الاسلامي في اهتمامات المسلم .

وصحيح انها خاضت اتجارب فى هذا الميدان اكسبتها خبرة ما.

غير انما خسرته اكثر مما كسبته .

٤- على المستوى الفكري :

اما على المستوى الفكري فقد تحقق ما تعرضنا له سابقا (١١٣) .

---

(١١٣) راجع مبحث الصحوة الافكار والمنطلقات .

٥- على المستوى الاجتماعي :

وعلى المستوى الاجتماعي خطت الصحوة اخيرا خطوات هامة في مجال المرأة والعمل النسوي ، واستطاعت من خلال الدعوة العامة والتوجيه المسجدي ان تحقق في هذا الميدان ما عجز التنظيم الاسلامي الخاص عن تحقيقه في فترات طويلة .

وقد تجلى انجاز الصحوة في مجال المرأة في الحقائق التالية:

-وجود اعداد من النساء اللواتي يحافظن على الصلوات في المساجد التي كانت حرما ممنوعا على النساء في هذه البلاد من قبل .

- ظهور الزي الاسلامي بشكل واضح داخل المدارس والجامعات والمؤسسات العامة ، والاسواق بل ظهرت متخصصة للزي الاسلامي .

-حضور فقه ومسألة المرأة بشكل ملح في خطب ودروس المساجد ، والمحاضرات والكتابات العامة .

-بروز الانشطة الاسلامية المتخصصة في مجال المرأة مثل المحاضرات والايام التربوية والملتقيات .

كما استطاعت الصحوة ان تخترق بعض الحواجز الاجتماعية الفئوية والعنصرية خاصة بين (البظان والحراطين) والزوايا وغيرهم .

كما عرفت تجربة اقامة البيت المسلم تطورا لابأس به يدعم الانجاز الاجتماعي للصحوة .

٦- على المستوى الثقافي :

لقد قطعت الصحوة شوطا مهما في المجال الثقافي ، مما يفسر المستوى المرتفع نسبيا للخطاب الثقافي لهذه الصحوة .

ويستطيع المتتبع ان يلمس هذه الحقيقة من خلال المحاضرات والندوات والمقالات التي تتناول هذا الجانب .

بل ان الجانب الثقافي من اكثر جوانب الصحوة تميزا وبروزا، ولعل ذلك راجع الى ان معظم عناصر الصحوة الفاعلة هم من الاساتذة والطلبة وخصوصا شعب الاداب والعلوم الشرعية .

ومما يدخل في هذا المجال ويجدر بالتنبيه هو ذلك الحضور الهام للصحوة في ميدان الادب عموما والشعر خصوصا ، هذا الشعر الذي ظل الناطق الرسمي باسم الصحوة مبشرا بفكرتها ، مثقلا بآلامها ، واعدا بآملها ، مفعما بمشاعر لاحباط ومليئا باحاسيس التطلع .

وقد انعكست هذه الظاهرة على الساحة الاكاديمية ،فظهرت عدة رسائل وبحوث في المؤسسات الجامعية تتناول الصحوة الاسلامية في جانبها الادبي .

ثانيا : مآخذ على الصحوة الاسلامية في موريتانيا:

حاولنا في (اولا) ان نبرز الجانب الايجابي للصحوة الاسلامية في موريتانيا ، وسوف نحاول هنا في (ثانيا) ان نعرض للجانب السلبي في الظاهرة .

ومـاخذنا هنا منصبة على الصحوة في اطارها الخاص (الحركة الاسلامية) بالدرجة الاولى ،لانها المسؤول الاول عن كل هذه المآخذ ، ولانها تتعلق بها بالدرجة الاولى .

اذا كانت انجازات الصحوة انجازات هامة ومقدرة فان المآخذ عليها هامة هي الاخرى وان كانت ليست مقدرة .

وكما ظهرت الايجابيات على مستويات مختلفة ومتعددة ، فكذلك المآخذ والسلبيات .

١-على المستوى الفكري :

لقد تميز الخطاب الفكري للصحوة الاسلامية في موريتانيا بغموض شديد ، وخلط واسع ، وغبش كبير ، وعدم وضوح فى الرؤية والتصور.

وقد واكبت تلك السمات هذا الخطاب منذ ولادته الى يومنا هذا .

إن كل الوثائق المكتوبة التي بين ايدينا ، والمقابلات الشفهية التي حصلنا عليها تؤكد هذه الحقيقة وتشهد لها .

إن أول وثيقة حصلنا عليها في هذا المجال يعود تاريخها الى ١٩٧٥/٧/٢ ،وهي شاهد ادانة في هذا المجال ، كما ان آخر التصريحات والممارسات الرسمية للحركة كل ذلك وصمة عار في جبين الحركة ، مما سنعود اليه بشيء من التفصيل .

إن اية حركة إسلامية تغييرية تنادي بسيادة الاسلام يفترض فيها ان تكون منبثقة للحد الادنى من الولاءوالبراء والتميز فى الحق ، كما يشترط فيها ان تحدد اهدافها بوضوح ووسائلها الكفيلة بتحقيق تلك الاهداف ، ملتزمة في كل ذلك بمنهج الكتاب والسنة واجماع الامة وهدي السلف على بصيرة من سنن تمكين الله للدين ، متسلحة بصفاء العقيدة وقوة الايمان واخلاق لا اله الا الله المأخوذة من هدي القرآن وسنة النبوة .

غير ان الحركة الاسلامية الموريتانية نتيجة لعوامل عدة ،كان خطابها الفكري خلوا من اساسات كثرة ومقومات عديدة .

ويتجلى ذلك من خلال قراءة ميدانية في وثائق وتصريحات وممارسات هذه الحركة

ان اول وثيقة لدينا في هذا المجال ، يرجع تاريخها الى ١٩٧٥/٧/٢ تؤكد لنا ماذهبناليه ،فهذه الوثيقة عبارة عن رسالة صادرة عن (جماعات المساجد) - وهو اسم كان يوقع به الاسلاميون يومها -.والذين كانوا فيما بعد نواة الحركة الاسلامية ، هذه الوثيقة تشهد بخلط شديد وغبش عظيم وتزلف شنيع ينبيء عن انحراف فكري وسياسي خطير ، فهذه الوثيقة تعجز كلماتها عن التعبير عن مدى اعجاب اصحابها بالرئيس العلماني (المؤمن) ذي الشأن العظيم) .

تقول هذه الرسالة مخاطبة المختارولد داداه مهنئة اياه على انجازاته الوطنية السياسية ،خاصة بعد مؤتمر التصحيح الذي انصهرت فيه السلطة والمعارضة في كيان حزب الشعب سنة ١٩٧٥ ، تقول الوثيقة "سيادة الرئيس لايمكننا بحال من الاحوال ان نبقى مكتوفى الايدي والالسن دون ان نعبر لكم عن مدى اهتزاز مشاعرنا

بالقرارات الثورية المتتالية ، فهذه ايدينا تصفق وهذه السنتنا تردد ...ماذا نعد انها انجازات اكثر من ان تعد فيما مضى ،وانها اصلاحات منوية في المستقبل ، وانها خطوات حكيمة سريعة طويلة للامام .

"ان هذا كله لايمكن ان ينسينا في ان انشاء دولة من مثلنا كان امرا مستحيلا لولا قيادتكم الموفقة ، وايما نكم الجازم ،ولاينسينا ايضا في الامر العظيم حقا، ذلكم هو صهر جميع القوى الوطنية المتبعثرة في قوة واحدة .... فاصبحوا مطبقين عمليا قوله تعالى (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ")(١١٤)

ان هذا الثناء العظيم الذي لايستحقه إلا نبي معصوم اوخليفة راشد يسديه هؤلاء الاسلاميون الى رجل الاستعمار الاول الذي مكن للعلمانية والتغريب وحكم النظم والقوانين الوضعية، يهدونه الى الرجل الذي لازالت يداه تقطر من دماء المواطنين الابرياء في مجزرة ازويرات سنة ١٩٦٧ ، ولازال يحطم الدين واهله باعتراف نفس اللجنة في وثيقة اخرى صدرت عن هذه اللجنة في شكل بيان يندد بنفس النظام بعد سنتين من ذلك فقط....(١١٥) .

وهؤلاء الذين تقول الوثيقة عنهم انهم اصبحوا مطبقين عمليا لقوله تعالى "ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" ، هم فلول الشيوعيين الكادحين الذين عاثوا افسادا في البلاد والعباد ، ومن سار مسارهم ممن التحق بحزب الشعب يومها .

ومما لايقل شناعة وفظاعة عن هذا ، بل يتعداه الى مرحلة مراجعة العقيدة- هو اقرار الوثيقة حق التشريع لاعضاء الجمعية الوطنية ، وهذا شرك اكبر مخرج من الملة اذا توفرت الشروط وانتفت الموانع (١١٦) .

تقول الوثيقة " ولان الجمعية الوطنية هي التي تمثل هذا الشعب ،اي ان كل واحد من اعضائها يشرع بالنيابة عن ثلاثين الف مسلم " .

ان هذا الكلام جد خطير اذا صدر عن مسلم عادي جاهل ، فما بالك به صادرا من مجموعة اسلامية ناطقة باسم (جماعات المساجد!) .

ان هذا الكلام يحتوى على افكارشركيةواضحة ،وموالات صريحة للكفار(١١٧) والملحدين ، ولانشك ان هؤلاء الاسلاميين لم يقصدوا الوقوع في هذه الافكار لولا غبش الفكر وضبابية الرؤية للمفاهيم الاسلامية لديهم .

---

(١١٤) الوثيقة عبارة عن رسالة مطلبية مطبوعة في اربع صفحات

(١١٥) هذه الرسالة عبارة عن منشور بعنوان صرخةاستغاثة تندد بالنظام.

(١١٦) راجعالملحق مطلب حكم من لم يحكم بما أنزل الله .

(١١٧) رجع نفس المرجع السابق

ومما يؤكد انما صرح به هؤلاء الاسلاميون في البيان السابق من مدح للنظام وتزلف له ، ليس الاميوعة فكرية وسياسية ،ولاينطبق على واقع النظام المزري – انهم في

الوثيقة التالية التي هي بيان صادر عن نفس الجماعة بعد ذلك بسنتين فقط (١٩٧٧) يندون بنفس النظام الذي شهدوا عليه انه نصب نفسه لمحاربة الدين منذ قيامه ،وبانه روج لفساد العقائد والاخلاق والقيم ، بما يرعاه ويشرف عليه من الانشطة الهدامة.

ومما يؤكد هذه الحقيقة ايضا ، ان نفس الجماعة قادت مظاهرات في نهاية السبعينيات (١٩٧٩) ضد هذا النظام مطالبة بتطبيق الشريعة ، وهو نفس النظام الموصوف سابقا للايمان الجازم .

ان هذه الحربائية الفكرية والسياسية هي التى تفقد المبادئ الاسلامية روحها ، وتفرغها من محتواها ،وتجعل انصار الفكرة الاسلامية يتخلون عن اصحاب هذا الخلط المشين ،زدعلى ذلك خطرها الشديد على العقيدة الاسلامية .

قد يقول قائل ان لهؤلاء الاسلاميين عذرا في تصرفهم هذا نظرا لعدم نضج الفكرة الاسلامية انذاك ، وعدم ظهور الانظمة العلمانية على حقيقتها العدائية للاسلام،مما يجعل الاقتناع ضعيفا بضرورة المفاصلة النهائية بين دين الله ودين الطاغوت .

ونحن قد لانجد غضاضة في الذهاب الى هذا الرأي بل نفضله من باب التماس احسن المخارج، غير اننا نجد انفسنا محرجين امام تصرف القيادات الحركية الاسلامية في الفترة الديمقراطية الاخيرة ، حيث لوثت نفسها وشوهت فكرتها وفقدت جماهيرها بالتحاقها ذيلا بركب المجرمين والظالمين من حزب الدولة وفلول العسكر ، وهي حكومة لاتقل شرا عن حكومة ولد داداه السابقة .

والى جانب المصائب السابقة في السياسة الشرعية والناتجة عن عدم وضوح الخط الفكري للجماعة من جهة ، وانحرافه من جهة اخرى- فان نفس الداء يلقي بثقله على اهداف الجماعة ووسائلها لتحقيق تلك الاهداف ، فالاهداف غامضة خجول ، والوسائل مرنة لطيفة وغير محددة .

واهم ما يميز اهداف ووسائل الحركة هو ،الضعف والقصور ،حيث ان ادنى ما يمكن ان يقال فيها انها ليست جديرة ولاحقيقة ان توصل اصحابها الى اي تغيير اسلامي في بال ، هذا علي افتراض تحقق كل تلك الاهداف المرسومة ،وهو امر مستبعد في ظل الاداء الحالي للحركة .

ان السبب وراء كل هذه المصائب راجع بالاساس الى ان الحركة الاسلامية في موريتانيا لم تستطع بعد ان تتبنى موقفا شرعيا واضحا من الانظمة العلمانية المعطلة لشرائع الله والمستبدلة لاحكامه بالقوانين الوضعية .

وهذه بلية من بلايا الفكر السياسي عند الاخوان المسلمين(التنظيم الدولي) التي اصابت كل الحركات ذات التاثر بهذا المنهج .

ان اهل السنة والجماعة لايعرفون في باب الخروج على الحكام الاحاكمين :

١- حاكم مسلم (ومثله الفسق) فهذا تجب طاعته ويحرم الخروج عليه ما اقام الصلاة .

٢- حاكم كافر ،او مرتد ،وهذا يجب الخروج عليه ومقاتلته ويحرم اقراره وولاؤه والتعاون معه .

وليس هنالك وسط ثالث يعاضد ويعارض ، ويدعى له و عليه .

والحركة الاسلامية في موريتانيا عاجزة عن تصنيع حكام العلمانية في اي من هذه الخانات وان كانت الغالبية من ابناء الحركة يصنفونهم في الخانة الثانية ،الا ان تصنيفهم رسميا من قبل الحركة في هذه الخانة يقتضي تغييرا جذريا في فكر وبنية واستراتيجية الحركة ،لانه سوف يضعها امام مسؤولياتها الجهادية ، وهي مسؤولية لم تستوعب بعد الحركة مقتضياتها ومتطلباتها في الشروط والمنهج .

ان الانحراف في الفكر السياسي لهذه الحركة ،لايقف عند هذا الحد ،بل يذهب الى حد التطبيل للديمقراطية والدعوة لها ، بما يقتضيه ذلك وتحتويه من مبادىء متناقضة لاساسيت الدين ومبادىء العقيدة (١١٨).

ويدخل هنا دخولا اوليا الدعوة الى قيام حزب اسلامي يقر الولاء للدستور العلماني ويحترمه .

ويدخل هنا ايضا الدعوة الى احترام الخيارات الفكرية للاخرين ، وان كانت تقتضي خروجهم عن الاسلامي واخراجهم للناس منه .

هذا عن الفكر السياسي ، اما عن فكر العقيدة والشريعة فان الحركة تتبنى رسميا وتفضل الخيار السلفي (١١٩) .

غير ان قراءة ميدانية في صفوف الجماعة توكد خلاف ذلك ، فالحركة خليط من السلفيين والاشاعرة والمتوصفة بمختلف مللها ونحلها ، والحركة لاتبالي في هذا المجال ولاتهتم ،ولا تخفى خطورة اهمال جانب العقيدة في بناء الصف المسلم .

وبإزاء الانحراف العقدي ،هنالك انحراف آخر في منهج التلقي واخذ الاحكام ، ذلك ان الحركة تاثر كثير من عناصرها بالمدرسة العقلية الحدية ذات الطابع الاعتزالي .

وقد بلغ هذا التاثر حد انكار بعض الاحكام الثابتة والتي تكاد تكون محل اجماع من الامة في عصورها المختلفة (مثل إنكار حد الردة من قبل بعض هؤلاء) .

---

(١١٨) رجع الملحق مطلب حكم الديمقراطية والعلمانية

(١١٩) أكد ذلك البيان الختامي للحركة (مرجع سابق)

هذه بعض من انحرافات الحركة في الجانب الفكري ، وقد كان لهذا الانحراف الفكري اثر كبر على الممارسة السياسية .

٢- على مستوى الممارسة السياسية :

لقد انعكس الغموض والانحراف الفكريان على مستوى الممارسة السياسية للحركة الاسلامية في هذا البلد، فنفس الغموض الذي يلف التوجه الفكري يحكم الموقف السياسي .

ان الباحث في وثائق الحركة وخطاباتها سوف لن يجد في هذا المجال اكثر من إن الاسلام شامل لجميع نواحي الحياة وصالح لكل زمان ومكان .

ورغم عمومية هذا الشعار ، فانه لم يتجسد في سلوك عملي او حتى رؤية نظرية واضحة للساحة الجاهلية التي ظل الاسلاميون تدفعهم المصالح الآنية المحدودة المشوبة بحب الظهور والرغبة في الشهرة الى التحالف مع اي طرف من اطرافها ،غير مبالين بما يلحقهم والفكرة الاسلامية معهم من اضرار .

ورغم ان الاسلاميين كانوا يضحون دائما بالاهداف الكبرى ذات المدى البعيد لصالح الاهداف المحدودة والآنية ،فان مكاسبهم حتى في هذه الاخيرة كانت محدودة للغاية ،وهي ان حصلت فالاسلاميون عاجزون عن استغلالها في الغالب(١٢٠) .

لقد خاضت الحركة الاسلامية تجارب سياسية ونقابية عديدة منذ بداية الثمانينات والى اليوم ، فقد خاضت تجربة نقابة المعلمين ، وتجربة اتحاد الطلاب الموريتانيين ، وتجربة البلديات ، الاولى والثانية ، واخيرا تجربة التعددية السياسية .

وقد وقفت في كل ذلك في خط السلطة تارة والمعارضة تارة اخرى .

غير اننا اذا استثنينا بعض المكاسب الجزئية التي ذكرنا سابقا، فان التجربة عموما كانت في كفة السلبيات والمساوىء ، ذلك انه في كل تجربة تستنفر كل الطاقات وتوقف كل النشاطات (حتى الصلاة في الجماعة) وتفرغ كل الجيوب ، مع كثير من المخالفات الشرعية التي تحملها تلك الممارسات ، وفي النهاية يتمخض الجبل ليلد فأرا فيعين واحد او اثنان من انصار الحركة في مكتب او لجنة قد يحول الحول دون ان يحضر اي اجتماع من اجتماعاتها ،وان حضر لم يعرف وان غاب لم يذكر(١٢١).

هذا بالاضافة الى الضرر الهائل الذي يلحق الفكرة الاسلامية من خلال هذه الممارسات الخرقاء، ذلك ان الجماهير تتعلق بالاسلام وتتشبث به ،عندما يعرض نقيا متميزا غير مشوب ولا مخلوط ، يحارب الاجرام ويعارض الفساد ، لايقبل الانصاف الحلول ،ولا بالالتقاء مع العدو في منتصف الطريق .

---

(١٢٠) (١٢١) نذكرهنا ببعض المكاسب التي حققها الإسلاميون ولم يستطيعوا استغلالها منها سيطرتهم على نقابة المعلمين حيث كانت من اركد فروع اتحاد العمال الموريتانين ومن ذلك حصولهم على منصب مسؤل الثقافة في اتحاد الطلاب حيث لم يحضر اي اجتماع من اجتماعات المكتب

اما حين يُحمل الاسلام شعارا فقط ويختلط على مستوى الممارسة بالمبادئ والافكار الجاهلية فان الجماهير المسلمة ترفض التمييع ، ولاتقبل الترقيع ، وسوف تتخلى عن مروجي هذا الخلط المشين والمريب .

ولعل خير مثال على ذلك ما حدث مع حزب الامة اخيرا ، فلما رفع شعار المعارضة والتحدي للسلطة التفت حوله جماهير عريضة ، لم تلبث ان تخلت عنه عندما لوث دعوته بتحالفه مع العلمانيين والشيوعيين العنصريين .

ان الخسارة الفادحة التي تلحق الفكرة الاسلامية في اذهان الجماهير نتيجة لهذه التصرفات لهي خسارة لا تقدر بقدر .

والخسارة التي لحقت الحركة الاسلامية في هذا المجال ،راجعة بالاساس الى عاملين :

١- العامل الاول : الغموض والانحراف الفكريان ، حيث انساقت الحركة الى دخول حلبة صراع سياسي المنتصر فيها من يحسر اكثر من افكاره ومبادئه .

ان دخول البرلمانات التي تشرع من دون الله، والمشاركة الحزبية التي تقر الدساتير العلمانية ،ممارسات شركية لا لبس فيها ولا غموض.

٢- العامل الثاني: ضعف التنظيم وقلة التجربة وهشاشة البنية .

والخسارة التي لحقت الحركة في ميدان الممارسة السياسية خسارة كبيرة سواء تعلق الامر بالعلاقة مع السلطة ، هذه العلاقة التي كان يطبعها الخوف والطمع ،اوتعلق الامر بالحركات السياسية الاخرى التي كان التعامل معها تحكمه العوامل النفسية والحساسيات التاريخية ،اكثر مما توجهه الفكرة والمبدأ .

هذا على المستوى المحلي ، اما على المستوى الاقليمي فاهم الاحداث التي زامنت الحركت ،هي حرب الصحراء وازمة الستغال .

ورغم اهمية الحدثين ، فان الاول منهما لم ينل اي اهتمام يذكر ، في حين حظي الثاني بمنشور ساعد ت في اخراجه عدوى المناشير التي وزعتها الاتجاهات السياسية انذاك ..

اما القضايا الاسلامية الكبرى ذات المستوى العالمي ،مثل القضية الفلسطينية والجهاد الافغاني ، ورغم اهميتها فقد انحصر الاهتمام بها في مواقف عاطفية يعبر عنها شعراء الصحوة في الغالب بقصائد تنكئ القرح وتعمق الجرح .

٣- علي المستوى التنظيمي :

لقد نجحت الصحوة الاسلامية في ايجاد تنظيم اسلامي ما ، غير ان هذا التنظيم يحمل في نفسه كثيرامن السلبيات .

انه من المعلوم ان كفاءة العاملين في اي تنظيم والتزامهم باهداف ذلك التنظيم عامل حاسم في نجاحه في مهمته .

غير ان التنظيم الاسلامي في موريتانيا لازال يفتقر الى كثير من مقومات الحد الادنى لتنظيم مقبول ، فالسلوكيات والاخلاقيات التنظيمية تكاد تكون معدومة ، بدءا با الالتزام بمواعيد الاجتماع ، وانتهاء بتنفيذ الاوامر والقرارت .

زد على ذلك ضعف البنية التنظيمية وهشاشتها، بالاضافة الى قلة الكفاءة والفاعلية في التنظيم ، الشيء الذي اتاح الفرصة للمبادرات الشخصية ان تظهر وتفرض نفسها على التنظيم .

٤- على المستوى الاجتماعي:

لقد كان اداء الحركة الاسلامية متسما بالعجز تجاه الوضع الاجتماعي الذي تفشى فيه الظلم والاستغلال ، وتكرست فيه الفئوية والعنصرية .

كما ظل الخطاب الاسلامي محصورا في اطاره التقليدي عموما (البطان خاصة الزوايا)، عاجزا عن اختراق الحواجز بين الفئات والشرائح .كما ظلت مشكلة الرق وقضية المرأة قضايا شائكة في الساحة الاسلامية .

اما البيت الاسلامي فلازال تجربة متعثرة في احيان ، فاشلة في احيان اخرى

٥- على المستوى الثقافي:

اما على المستوى الثقافي، فتعتبر احادية اللغة (العربية) سلبية من سلبيات الخطاب الثقافي الاسلامي الذي لم يصل بعد الى غير الناطقين بهذه اللغة .

٦- على المستوى الدعوي :

لقد كان خطأ الحركة كبيرا في هذا المجال ، وذلك عندما حاولت ان تجعل من الثقافة والفكر مادة خطابها الدعوي ، فحرمت بذلك طوائف كثيرة من العوام الذين ليسوا على مستوى استيعاب الفكر البشرى الجاف والنظريات الاجتماعية المعقدة .

لقد اهملت الحركة الاسلامية هؤلاء العوام المستضعفين الذين لم ينالوامنها اي اهتمام يذكر ، حيث ركزت في دعوتها على النخبة والطليعة من المجتمع ، باحثة عن اصحاب الاقلام الرشيقة والالسن الطليقة .

وهذا انحراف بين عن منهج النبوة وهدي السلف ،حيث ان المستضعفين دائما يشكلون المادة الخام للدعوات السماوية ، والقرآن مليئ بالشواهد على ذلك ، فنوح لم يستجب له فى البداية الا المستضعفون ، فانكر عليه قومه ذلك (وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ومانرا لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) *.

والرسول صلى الله عليه وسلم ،لما اعرض عن تعليم الاعمى امور دينه التي جاء يسأل عنها وانشغل عنه بسادة القوم ووجهائهم - جاءه عتاب من السماء، قال الله فيه(عبس وتولى ان جاءه الاعمى) (@).

٧-اما على المستوى الاعلامي والاقتصادي فلم يتحقق اي شيء يذكر ،رغم كثرة الحديث عن دور الاعلام الاسلامي واهمية الاقتصاد الاسلامي كذلك .

٨- وعلي المستوى التربوى فانه رغم الحضور الكبير للمنهج الاخوانى الذي اشتهر

(*) هود ٢٧ (@) عبس ١

عنه اهتمامه بالتربية ، ورغم الاهمية البالغة للتربية الايمانية لجيل الاسلام القادر على المواجهة وحسم الخيار- فان التربية الروحية قد ضعف الاهتمام بها في الفترات الاخيرة بعد طغيان الجانب السياسي والفكري .

اما التربية السياسية والفكرية ،فقد كانت بالمستوى الذى اثمر النتائج السابقة التى تعرضنا لها في نقطة السلبيات من هذا المبحث .

٩- على مستوى الكسب لم تنجح الحركة الاسلامية في موريتانيا في كسب مناسب علي مستوى العلماء والمشايخ وطلبة العلم الشرعي ، وقد كان ذلك ممكنا ومتاحا لو لقي من الاهتمام ما يستحق .

وكان من نتائج ذلك وقوف العديد من العلماء ضد مواقف الحركة .

كما لم تستطع الحركة توسيع النطاق المكاني للصحوة بشكل مقبول ، حيث ظلت محصورة - مكانيا -في العاصمة وبعض عواصم الولايات الداخلية .

١٠- على مستوى العلاقة بين الصحوة والحركة :

قبل ان نحكم بحكم في هذا الميدان ،يجدر بنا التطرق الى الفرق بين الصحوة والحركة ، فالصحوة هي تيار الوعي الاسلامي العام ، الذي يتجلى في مظاهر عدة وصور شتى تشمل الافراد والجماعات .

اما الحركة فهي عمل جماعي وتنظيم خاص له اهدافه ووسائله وهياكله ويعمل في الاطار الخاص للصحوة ، فالصحوة اذا اعم من الحركة ، لان الصحوة تشمل الحركة المنظمة والحالة الجماهيرية العامة .

اما الحركة فهي اخص من ذلك ، لانهاعمل جماعي منظم فقط ،فكل حركة صحوة وليست كل صحوة حركة (١٢٢).

والصحوة مدد وسند ورافد للحركة ،والحركة دليل وموجه للصحوة ، وكل منهما يؤثر ويتاثر بالاخر "(١٢٣).

وقد كانت الحركة الاسلامية في موريتانيا افرازا من افرازات الصحوة وثمرة من ثمارها ، وكان من المفروض ان تكون الحركة فيما بعد موجها ودليلا للصحوة ، غير ان العلاقة بين الحركة والصحوة قداتخذت منحى اخر ، لم يحصل فيه ما افترضناه سابقا ،نظرا لسلبية الحركة في تعاملها مع الصحوة،وعدم انسجام فكرة الحركة ومواقفها الضعيفة مع التطلعات الطموحة لقاعدة الصحوة .

وقد ساهم في تلك السلبية ان قاعدة الصحوة ظلت تتضخم وتكبر في حين ظلت مصداقية وفاعلية الحركة تتحجم وتصغر .

---

(١٢٢)(١٢٣)عن كتاب أولويات الحركة الإسلامية د.القرضاوي ص ٤

وكانت النتيجة النهائية لذلك ان قاعدة الصحوة وجماهيرها اصبحت تفرض اختياراتها ومواقفها على الحركة التي لاتريد ان تظهر بشكل الكابح لتطلعات الجماهير المسلمة ، الشيء الذي ظهر بشكل واضح في الانتخابات الاخيرة عندما قررت الحركة السير في ركب حزب الدولة بعد الانذار المسلح الذي وجه لها ، فقررت القاعدة ممثلة في القيادات الجماهيرية للصحوة(الدعاة وأئمة المساجد) تشكيل حزب الامة الذي اضطرت الحركة الى تبنيه على مضد واستحياء .

الخاتمة

إن من اهم ما يمكن ان يخلص قارئ هذا البحث الذي طوف بنا في رحلة شاسعة عبر الزمان والمكان ، بين التصورات والأفكار- هو بإيجاز ما يلي:

١- ان ظاهرة الصحوة الإسلامية ليست حدثا جديدا على تاريخ هذه الأمة ، وإنما الجديد هو اسمها فقط ، بل ان تاريخ هذه الأمة مليء بالصحوات التي لولا الله ثم هي لاندثر كيان هذه الأمة من زمان بعيد .

٢-ان الصحوة حالة إيجابية لاتظهرالا ردا على حالة سلبية سابقة عليها لان الصحو لا يكون إلا بعد النوم .

٣- ان الصحوة الإسلامية دائما من نوع وبقدر الحالة السلبية المقابلة لها فاذا كانت الأمةالإسلامية مثلا تعاني تحديا في الجانب العسكري ظهرت الصحوة في الجانب العسكري اساسا ، واذا كان التحدي قويا كانت الصحوة قويةكذلك .

٤-ان الصحوة الإسلامية لا تولد من فراغ ،ولا تأتي من لا شيئ بل تأتي حصيلة لتفاعل قوى بين عوامل وأسباب مختلفة.

٥-ان هذه الصحوة -وان كان يجمع بين فصائلهافكر التمكين للدين- الا انه توجد داخل تيارها العام اتجاهات فكرية متعددة تجمع بينها الكليات وتفرق بينها الوسائل والجزئيات ولكل منها نصيبه وحظه من الخطإ والصواب على تفاوت في ذلك .

٦-ان الصحوة الاسلامية في موريتانيا جزء من الصحوة الاسلامية ككل ، ولها نفس الخصائص والمميزات تقريبا الا انها جاءت متأخرة نسبيا عن نظيراتها في بلاد عديدة اخرى .

٧- ان الصحوة الاسلامية في موريتانيا صحوة نشأت وتطورت نتيجة لعدة عوامل داخلية وخارجية ساهم كل منها في ابراز الظاهرة ، وان كان دور العوامل الخارجية اكبر واوفر من دور العوامل الداخلية .

٨- ان هذه الصحوة صحوة اخوانية بالدرجة الاولى تحمل اهم ايجابيات وسلبيات المدرسة الاخوانية (التنظيم الدولي) وان كان ذلك لا يعني اي ارتباط تنظيمي لها به .

ثم هي بعد ذلك صحوة سلفية ، وتجديدية (عقلانية) ، لها مما لهذه الاتجاهات وعليها مما عليها .

٩-ان هذه الصحوة لا زالت صحوة ناشئة وبادئة تحتاج للكثير من التوجيه

ولا شك ان هذا امر مخيف ومقلق ينبئ ان الصحوة لم تبلغ بعد مرحلة ازعاج الطواغيت والمجرمين .

١٠- ان هذه الصحوة خطت خطوات هامة الى الامام على مستويات واصعدة عديدة برهنت من خلالها على امكانية انجاز ومردودية العمل اذا توفرت العزيمة المخلصة والعمل الجاد .

كما ان الصحوة ارتكبت اخطاء جلّى لا يمكن ان تغتفراوتقبل تحت اي مبرر كان .

١١- كما ان هذه الصحوة تحمل في مكوناتها عناصر انحراف خطيرة قد يكون لها اثر خطير في المستقبل اذا لم تحتو وتحاصر.

واخيرا فانني اعترف بان كل ما كتبته في هذا البحث هو رايي الذي لم احاب فيه ولم اجامل ، ولو لا اقتناعي بانه الحق ما كتبته ، ولو لا وجوب نصرة الحق ما انتصرت له ، فمعذرة ايها المخالف الكريم .

وبهذا نأتي على ختام هذا البحث ، فما كان فيه من توفيق فمن الله ،وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله أسأل أن يتقبل ويتجاوز .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الملحق(*)

ليس هذا الملحق من صميم البحث في الاصل ، غير اننا اثناء تناولنا للموضوع خاصة اثناء تقييمنا لعلاقة الاسلاميين بالسلطة والنظام وتقييمنا للمنطلقات الفكرية لديهم ،كنا نصدر بعض الاحكام التي نحن على اقتناع بصحتها ،الاانها كانت تثير بعض الشكوك في مصداقيتها عند البعض ا.

وسعيا منا للكشف عن حقيقة تلك الاحكام ومستندها الشرعي ، وحرصا منا على تحري الصواب الشرعي في مسائل شائكة على مستوى الامة بصورة عامة ، وعلى مستوى الاسلاميين بصورة خاصة - وجدنا انه من الضروري الحاق ملحق يتناول هذه المسائل بشكل مستقل .

ونحن لم نأتي في هذا الملحق بشيء من عندنا الا في حالات نادرة بل كان عملنا بالا ساس هو جمع المادة العلمية وتصنيفها .

وسوف نتناول في هذا الملحق ان شاء الله بيان حكم من لم يحكم بما انزل الله في مطلب اول ، وحكم الديمقراطية والعلمانية في مطلب ثان ، على ان نخصص المطلب الثالث للدستور الموريتاني الحالي ومحاكمته الى ما قررناه في المطلب الاول والثاني

المطلب الاول : بيان حكم من لم يحكم بما انزل الله

ان عدم الحكم بما انزل الله ، والحكم بغير ما انزل قد يكون خطأ مغفورا وقد يكون اثما كبيرا ، وقد يكون كفرا صريحا ، فاذا كان الحاكم لم يحكم بما انزل الله مخطأ منه، او عدم توفيق بعد تحري الصواب وبذل الوسع ،وكان من اهل ذلك ،فهذا مخطئ يؤجر .

واذا تعمد الحاكم الحكم بغير ما انزل الله ،فان كان فعل ذلك وهو يعلم انه يرتكب محرما ، وان المعدول عنه اولى بالاتباع من المعدول اليه ،فقد ارتكب اثما كبيرا .

وان كان يعتقد انه يجوز له الحكم بغير ما انزل الله ،اوان حكم الله ليس مناسبا ،او ان غيره افضل منه ،فهذا كافر مرتد يجب قتاله والخروج عليه ان كان حاكما ،واقامة حد الردة عليه ان كان محكوما .

وهذا النوع الاخير من الحكام هو موضوع هذا المطلب بدرجة اولى ،لان حكام المسلمين اليوم هذه هي حالهم ،فقد نحوا شريعة الله ،واخذوا بدلا منها مناهج بشرية وقوانين وضعية يحكمون بها ويتحاكمون اليها ويسوسون بها البلاد والعباد .

(*) اعتمدت في معظم نقول هذا الملحق على كتاب (الايضاح لما في دستور اليمن من الكفر البواح) للشيخ عمر سيف ،وكتاب (الحصاد المر) لابمن الظواهري.

وهذا اقوى دليل واظهر حجة على تفضيلهم لها على شرع الله وتقديمهم لها عليه ، لانهم لولم يرو انها افضل، واكثر مناسبة للعصر ، وانسجاما مع النظم والقوانين والمواثيق العالمية ،لما جعلوها منهجا متبعا وحكما نافذا يعاقب الخارج عليه .

ان هذه الانظمة التي هذه حقيقتها قد كشف الله امرها وبين حكمها لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، غير ان الغياب المذهل لحقائق الدين ، ومعنى التوحيد ومدلول لااله الا الله قد اعمى القلوب وطمس البصائر عن معرفة حكم الله في هؤلاء .

ان الايات المتتالية والنقول والاقوال الصحيحة الصريحة ،لاتدع مجالا للشك او مكانا للريبة في اطلاق الحكم الذي حكم الله به على هؤلاء الذي هو الكفر .

لقد قال الله تعلى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) (١) .

ان نفس سبب نزول هذه الاية هو حال هؤلاء الحكام فقد اخرج البخاري من حديث ابن عمر في ذلك ان اليهود لما عطلوا حكم التورات برجم الزاني المحصن ، واخترعوا بدله قانونا وضعيا يخفف العقوبة ،انزل الله هذه الاية في شأنهم .

وعمل اليهود هذاهو نفس عمل هؤلاء الحكام الذين يبدلون عقوبة قطع اليد في حق السارق بعقوبة السجن مثلا .

والشيء الذي يؤكد دلالة هذه الاية على كفر هؤلاء الحكام كفرا اكبر هو :

-ان الاية صريحة في اطلاق الحكم بالكفر على من لم يحكم بما انزل الله .

-انها عامة ،لان (من) من الفاظ العموم .

-ان صورة سبب النزول قطعية الدخول في النص بالاجماع ولاتخرج منه بالاجتهاد ، كما نقله السيوطي رحمه الله في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) (٢)

اما مايرد هلى هذه الاية مما يعارض الاستدال بها هنا فلا يقوى ولايقوم ، ومن ذلك القول بان الكفر فيها كفر دون كفر ، لان الكفر في الاية معرف ب (ال) الاستغراقية الدالة على الكفر المطلق .

ومن ذلك القول بانها نزلت في اليهود وحكمها خاص بهم ، وهذا مردود ،لان لفظ(من) من الفاظ العموم ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقال الله تعلى(افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يو قنون) (٣) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الاية - ينكر تعالى على من خرج على حكم الله المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر ، وعدل الى ما سواه من الاراء والاهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم واهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان الذي وضع لهم (الياسق)

---

(١) المائدة ٤٤

(٢) الاتقان في علوم القرآن (١/ ٢٨...٣٠)

(٣) المائدة ٥٠

وهو عبارة عن كتاب مجموع من احكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية وفيها كثر من الاحكام التي اخذها من مجرد هواه ، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير »(١)

ان الياسق الذي يصفه ابن كثير هنا ،ماهو الامثال واضح وجلي للدساتير والتشريعات الوضعية التي يتحاكم اليها الناس اليوم في بلاد المسلمين .

وقال تعالى(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) (٢) .

يقول محمد الامين الشنقيطي عند تفسير هذه الاية- ومن هدي القرآن للتي هي اقوم بيانه ان كل من اتبع تشريعا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح مخرج من الملة الاسلا. ية »(٣)

وقال في تفسير قوله تعلى (ولايشرك في حكمه احدا)(٤) - وحكمه جل وعلى للذكور في قوله ولا يشرك في حكمه احدا شامل لكل ما يقضيه جل وعلى . ويدخل في ذلك التشريع دخولا اوليا .

«وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهرغاية الظهور ، ان الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة او لسانه مخالفة لما شرعه الله جل وعلى على السنة رسله صلى الله عليهم وسلم - انه لا يشك في كفرهم وشركهم الا من طمس الله بصيرته واعماه عن نور الوحي مثلهم» - (٥)

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي في شأن متبع القوانين الوضعية- فهو بلاشك كافر مرتد اذا اصر عليها ولم يرجع الى الحكم بما انزل الله ، ولا ينفعه اي اسم تسمى به ، ولا اي عمل من ظواهر اعمال الصلاة والحج ونحوها »(٦) .

ويقول محمود شاكر رحمه الله معلقا على تحكيم القوانين الوضعية :- فهذا الفعل اعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لاحكام اهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعلى وهذا كفر لايشك احد من اهل القبلة عالى اختلافهم في تكفير القائل به والداعي اليه »(٧) .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير عند هذه الآية

(٢) الإسراء ٩

(٣) اضواء البيان (٤/٤٢٩)

(٤) الكهف ٢٦

(٥) للتوسع راجع اضواء البيان (٤/٨٢-٨٥)

(٦) فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ص ٣٩٦

(٧) عمدة التفسير (٤/١٥٧)

ويقول محمد بن ابراهيم مفتي السعودية سابقا : « ان من الكفر الاكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الامين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم) »(١)

ويقول محمد نعيم ياسين : « ويكفر من ادعى ان له الحق في تششريع مالم يأذن به الله بسبب ما أوتي من السلطان والحكم....ومن ذلك وضع القوانين والاحكام التي تبيح الزنا والربا وكشف العورات ، او تغيير ما جعل الله لها من العقوبات المحددة في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ».(٢)

ويقول سيد قطب رحمه الله : « ان اخص خصائص الالوهية هي الحاكمية فالذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ منهم مكان الالوهية ويستخدم خصائصها فهم عبيده لا عبيد الله ،وهم في دينه لا في دين الله .

« ان هذه القضية هي اخطر واكبر قضايا العقيدة ، انها قضية الالوهية والعبودية ، قضية الحرية والمساواة ، قضية تحرير الانسان، بل ميلاد الانسان ،من اجل هذا كله كانت قضية الكفر او الايمان قضية الجاهلية او الاسلام » (٣) .

ولا اظن اننا بعد هذه الايات للتتالية وللنقول المستفيضة عن علماء الامة ومفكريها قديما وحديثا - في حاجة الى تعليق منا .

ولكن التعليق سوف يأتي على لسان احد العلماء الباحثين في هذا المضمار ،ألا وهو الدكتور سفر الحوالي رئيس قسم العقيدة بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

يقول الدكتور في رسالته (العلمانية) بعد ان ذكر الايات السابقة واقوال العلماء فيها :

« ان هذا الحشد من الايات وامثالها في القرآن كثير ،بل ان موضوعها لهو موضوع القرآن الرئيسي - مع ذكر ما ذكره العلماء في فهمها من الاقوال ليدل دلالة قاطعة على نفي الايمان عن من ابتغى غير الله حكما في اية قضية من قضايا الحياة ، والحكم عليه بالشرك والكفر والنفاق والجاهلية كلها سواء

« ان قوله تعالى (وان اطعتموهم انكم لمشركون)خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه في قضية فرعية هي الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، فهل يبقى بعد هذا مجال للشك او التردد ؟ .

« الحق انه لامجال لشيئ من ذلك ، ولكن الغياب المذهل لحقائق الاسلام من العقول والقلوب ، والغبش الكثيف الذي انتجته عصور الانحراف -هذا وذاك هما اللذان يجعلان كثيرا من الناس يثيرون شبهات متهافتة لم تكن لتستحق ادنى نظر لولا هذا الواقع المؤلم .

---

(١) رسالة تحكيم القوانين لهذا الشيخ ص ١

(٢) نقلا عن كتاب الايضاح ص١٣ مرجع سابق

(٣) نقلا عن الحصاد المر ص١٠ مرجع سابق

«من هذه الشبهات استصعاب بعض الناس اطلاق لفظ الكفر او الجاهلية علي من اطلقها الله عليه من الانظمة والاوضاع والافراد بذريعة ان هذه الانظمة لاسيما العلمانية الديمقراطية لا تنكر وجود الله ولا تمانع في اقامة شعائر التعبد ، وبعض افراد الانظمة العلمانية يتلفظون بالشهادة ويقيمون الشعائر من صلاة وصيام وحج وصدقة ويحترمون رجال الدين والمؤسسات الدينية ،فكيف يستسيغ القول بان العلمانية نظام جاهلي ، وان المومنين بها جاهليون ؟.

«ومن الواضح جدا ان الذين يلوكون هذه الشبهة ،لا يعرفون معنى لااله الا الله ولا مدلول (الاسلام) ، وهذا على فرض حسن الظن بهم ، وهو مالايجوز في حق كثير من المثقفين الذين يتعللون بهذه العلل ».(١)

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ومن مطلب الحكم على من لم يحكم بما انزل الله تنتقل الى مطلب لصيق به وهو مطلب حكم الاسلام في الديمقراطية والعلمانية .

المطلب الثاني : حكم الاسلام في الديمقراطية والعلمانية :

لعل من الجدير بنا في البداية ان نبين مفهوم كل من المصطلحين وذلك على النحو التالي:

-الديمقراطية:

الديمقراطية هي مصطلح يونا ني مركب من كلمتين هما(د يموس)ومعناها شعب و(اكراتوس) ومعناها سلطة ،اي سلطة الشعب (٢)

ان الديمقراطية اذن نظام حكمي تكون السلطة العليا فيه والسيادة للشعب ، فقد جاء في الموسوعة السياسية:« الديمقراطية نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة بين افراد المجتمع والدولة وفق المساواة بين المواطنين ومشاركتهم في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة ».(٣) .

والديمقراطية تقابل (التيو اقراطية) اي حاكمية الله او السلطة الدينية . فهي اذن تاليه للانسان واعطائه اخص خصائص الالوهية ،كما يقو ل ابو الاعلى المودودي (٤) . وهي نظام علماني صريح .

---

(١)- عن كتاب العلمانية د:سفر الحوالي ص٦٨١ ٦٨٧

(٢)-راجع كتاب الاضاح ص ٢ مرجع سابق

(٣)- نفس المرجع السابق

(٤)- انظر كتاب الاسلام والمدنية الحديثة لابي الاعلى المودودي ص٢٢.

-العلمانية :

اما العلمانية فهي كلمة مرادفة للا دينية ، وهي تعني اول ما تعني الحكم بغير ما انزل الله ،لان ذلك هو معنى قيام الحياة على غير الدين .

والعلاقة بين الديمقراطية والعلمانية علاقة عموم وخصوص ، فالعلمانية اعم من الديمقراطية ،لانها تصدق على كل نظام لايقوم على اساس الدين ولا يخضع له سواء كان ديمقراطيا او دكتاتوريا .

هذه هي العلمانية وتلك هي الديمقراطية .

وبعد هذا التعريف نستطيع ان ننتقل الى بيان الحكم الشرعي -البين في حد ذاته-للديمقراطية والعلمانية .

غير انه قبل ذلك ، وتأسيسا له يجدر بنا الالمام باهم خصائص الديمقراطية - النموذج المفضل من نماذج العلمانية عند الشعوب وحتى عند بعض الاسلاميين -حتى نستطيع ان نصدر الحكم عن وعي بمقتضيات هذا النظام .

واهم هذه الخصائص:

١- سيادة الامة :

وسيادة الامة كما هو معروف عند اهل القانون الدستوري ،هي سلطة عليا لايوجد اعلى منها (١) .

وقد جاء في الموسوعة السياسية مانصه :« تقوم كل الانظمة الديمقراطية على اساس فكري واحد ،هو ان السلطة ترجع الى الشعب ، وانه وحده صاحب السيادة ،اي ان الديمقراطية في النهاية،هي مبدأ السيادة الشعبية »(٢)

٢- مبدأ المساواة:

« مبدأ المساواة هوجوهر الفكر الديمقراطي »(٣) .

ومن مقتضيات المساواة التكافؤ امام القانون بين المسلم والكافر والذكر والانثى في الاحكام والحقوق والواجبات بما في ذلك تولية المناصب وغيرها .

٣- الحرية :

واهم مقوماتها الحرية الشخصية وحرية الاعتقاد ، بما في ذلك الخروج من الاسلام الى الكفر دون عقوبة او مؤاخذة.

هذه هي دعائم الديمقراطية التي تقوم عليها ،ولايخفى على ذي عقل سسليم ونظر قويم مدى منا قضة هذه المبادئ لمبادئ الاسلام ومنا هضتها لعقيدته .

ان مبدأ السيادة الذي يشكل اهمدعيمة من دعائم الديمقراطية -كما رأينا- قبل قليل ،هو تحد صارخ لحاكمية الله واعتداء على الوهيته جل وعلى ، لان السيادة مادات(سلطة عليا لايوجد اعلى منها فهي اذ ن لاتخضع لاحكام الله وشريعته ،بل هي التي تخضع ما سواها لارادة الجماهير .

---

١)-كتاب انظمة الحكم في الدول النامية ص ٦٢٥ د:عبد الحميد متولي

٢)-الموسوعة السياسية (٢/٥٦٧)(٣)-موسوعة السياسة للكيالي (٢/٥٣٧)

ومما يؤكد هذا المعنى في السيادة الديمقراطية ،ان الديمقراطية جاءت اصلا تمردا على فكرة الحق او االتفويض الالهي كما هو معروف ،لتخرج الشعب عن احكام الله ليحكم نفسه بنفسه من خلال التشريعات التي يضعها لنفسه من خلال البرلمان .

وقد بينا في المطلب الاول من هذا الملحق ان ذلك كفر بواح وردة صريحة .

كما ان مبدأ الحرية المقدس في الديمقراطية يقوم على الحرية الشخصية التي تجعل من عمل الشخصي الاختياري (مثل الزنا الاختياري) امرا مباحا لاعقوبة عليه .

كما تقتضي الحرية حرية المعتقد التي تسمح بالانتقال من دين الى دين ، وبالتالي تسقط حد الردة الثابت في الشريعة الاسلامية .

اما مبدأ المساواة فهو يقتضي فيما يقتضي :

١- اسقاط حد الردة لما يكفله من حرية المعتقد والمساواة بين المسلم والكافر .

٢- اسقاط جهاد الكفار والمرتدين ،لان القانون لايميز بين المواطنين على اساس الدين والمعتقد .

٣- اسقاط الجزية وشروط عقد الذمة عن غير المسلمين داخل الدولة الاسلامية .لما في ذلك من الاخلال بمبدأ المساواة والتكافئ بين المواطنين (١) .

هذه هي الديمقراطية على حقيقتها ، وذلك جزء من تناقضها الصارخ مع الاسلام ، فهل يبقى بعد ذلك عذر لمن لازال يطبل لهذا المبدأ الجاهلي الكفري ،ظانا انه يمكن الجمع بين الاسلام واي نظام جاهلي آخر ؟

ان من يريد الجمع بين هذه المتناقضات سواء في الفكر او في الواقع هو كمن يشهد ان لاله الا الله وان محمد رسول الله وان مسيلمة الكذاب رسول الله كذلك ، او يشهد على نفسه بانه مسلم نصراني او مسلم يهودي .

ان بيان هذه الامور قد كنا في غنى عنه ، ولكن الغبش الفكري الكثيف لدى كثير من الاسلاميين والحركات الاسلامية الذين لازالوايطبلون للديمقراطية هو الذي دفعنا الى هذا عل الله ينفع به ، فيعودون الى الصواب ويرجعون الى الرشد فالحق احق ان يتبع .

ان ما اسلفناه في المطلب الاول حول حكم من لم يحكم بما انزل الله ، وفي المطلب الثاني حول الديمقراطية والعلمانية لهو امر ضروري للمطلب الثالث الذي سوف نتناول فيه الدستور الموريتاني ومدى اسلاميته او كفريته .

المطلب الثالث: حول الدستور الموريتاني :

قد ينخدع بعض المغفلين بما ورد في ديباجة هذا الدستور من ذكر ان الاسلام هو مصدر التشريع الوحيد ، ويظنون انه بذلك اصبح دستورا اسلاميا لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

---

١)- راجع الحصاد المر ص ١٣ مرجع سابق

وبغض النظر عن القوة القانونية للديباجة -فان الدستور دستور علماني بحت- وما ورد فيه من ذكر للاسلام هو من باب ذر الرماد في العيون والخديعة والتشويش فقط والا فان الدستور صارخ بعلمانيته وكفره ،وهذا ليس مبالغة او تطرفا كما يظنه البعض ولكنه الحقيقة التي تكشف عنها مواد الدستور نفسه كما سنرى بعد قليل .

لقد جاء في الديباجة التأكيد على التمسك (بمبادئ الديمقراطية الوارد تحديدها في الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر بتاريخ ١٠ دسمبر ١٩٤٨ ، والميثاق الافريقي لحقوق الانسان والشعوب الصادر بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩٨١، وفي الاتفاقيات الولية التي وافقت عليها موريتانيا) .

ان هذا تمسك واضح وتعلق بمدأ الديمقراطية الذي بينا في المطلب السابق مناهضته ومناقضته للاسلام .

وحتى لا يقول قائل ان الديمقراطية الواردة في هذه الديباجة مقيدة بالاسلام ، فان الدستور لم يترك لهذا القائل حجة في قوله هذا ، لان الدستور حدد الديمقراطية التي يعنيها بانها تلك التي ورد تحديدها في الاعلان العالمي لحقوق الانسان والميثاق الافريقي لحقوق الانسان والشعوب ، ولا اظن انهما مقيدان بقيد هذا المعترض .

ان هذا التشبث بالديمقراطية عدول صارخ عن منهج الله في الحكم وتحاكم جلي الى الطاغوت (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) (١) .

ولاتحتاج الى تكرير القول بان هذا كفر صريح وردة كبرى عن الدين ، يدخل فيها واضع الدستور ومقره والعامل به اختيارا ، اذا توفرت الشروط وانتفت الموانع .

ونصت المادة رقم (١)على المساواة بين كافة المواطنين امام القانون ويدخل في ذلك المساواة بين الرجل والمرأة والكافر والمسلم (٢) وقد بينا ان المساواة على هذا النحو اعتراض واضح وعدول جلي عن حكم الله .

ونص الدستور في المادة (٢) على ان الشعب هو مصدر كل سلطة ، وهذاكفر، لان مصدر السلطة هو الله المتفرد بحق التشريع لعباده .

وجاء في المادة (١٣) انه لايوقف احد ولا يتابع او يعتقل او يعاقب ، الا في الحالات وطبق الاجراءات التي ينص عليها القانون .

ومعنى ذلك انه لو ارتكب شخص جريمة من الجرائم التي لم يسن لها البرلمان عقوبة ولو كانت العقوبة واردة في القرآن مثلا فان هذا الشخص شخص بريئ يعاقب من تعرض له بسوء

ولا يخفى ما في هذا الامر من مخالفة الاسلام .

ونص المادة(٣٧)على ان رئيس الجمهورية يمارس حق العفو وحق تخفيض العقوبة واستبدالها

---

١) النساء ٦٠

٢) راجع معنى المساواة في الديمقراطية في المطلب السابق

لقد اصبح رئيس الجمهورية بهذا إلها يشرع من دون الله يبدل احكامه ويغيرها ويزيد فيها وينقص ويعلق بالقلم الاحمر .!!

ان من يشرع على هذا النحو في حدود الله واحكامه ويغير ويبدل من عند نفسه لمن حقه ان يزيد في عدد ركعات الصلاة وينقص ويغير الصوم من شهر رمضان الى شهر شعبان مثلا ،ويجعل الزكاة على سنتين بدل السنة الواحدة .....الخ.

ان هذا هو مقتضى قول فرعون (انا ربكم الاعلى) .

وتنص المادة (٤٥) على ان البرلمان يمارس السلطة التشريعية وذلك كفر كما بينا سابقا ، كما تعطي المادة (٥٠) امتيازات واسعة للبرلمانيين تجعلهم في حصانة من العقوبات الشرعية .

وهذه مخالفة واضحة لمبدأ العدل والمساواة امام القضاء في الاسلام .

كما تشرع المادة (٧١) الاحكام العرفية وحالة الطوارئ التي للرئيس حق اعلانها .

والاسلام لايعرف شيئا اسمه احكام الطوارئ والاحكام العرفية ، بل يعرف الاحكام الشرعية فقط التي تشمل حالات السلم والحرب والحالات العادية والاستثنائية .

وتنص المادة (٩٣) على انه لايكون رئيس الجمهورية مسؤولا عن افعاله اثناء ممارسة سلطاته ،الا في حالة الخيانة العظمى

ان عدم المسؤولية عن الافعال على هذا النحو ،خاصية من خصائص الله الذي لايسأل عما يفعل وهم يسألون .

ونكتفي بهذا القدر من الامثلة ، فليس المقصود هو استقصاء كفريات الكافرين ، ولكن المهم هو ان يكون الاسلاميون عموما والاسلاميون الموريتانيون خصوصا على بصيرة من امرهم فيما يقولون ويفعلون .

ان الترويج للدستور السابق واقراره والعمل به اعمال كفرية صريحة قد يكفر صاحبها اذا توفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع المعتبرة .

ان الترشح لبرلمانات هذا الدستور يعتبر اقرارا له ،لان البرلماني مقسم لولاء الدستور والاقرار والولاء لهذه الدساتير يأخذ حكم وضعها والزام الناس بها .

والحزب الاسلامي الذي يتقدم للاعتراف به عالى اساس هذا الدستور ،ليس بمنجى عن الحكم السابق .

والوزير المسلم الذي يكون عضوا في حكومة كافرة يسلك نفس الطريق .

ولعله من المفيد هنا ان انقل بعضا مما كتبه الشيخ محمد قطب حول المسلك الديمقراطي المعوج الذي لازال بعض الاسلاميين يسيرون فيه غير مبالين ولا متعظين .

يقول محمد قطب في كتابه واقعنا المعاصر : ان استخدام هذا الطريق عبث لايؤدي الى نتيجة قبل تكون القاعدة المسلمة ولنفرض جدلا اننا توصلنا الى تشكيل برلمان مسلم مائة في المائة ، كل اعضائه يطالبون بتحكيم شريعة الله فماذا يستطيع هذا البرلمان ان يصنع بدون « القاعدة المسلمة » التي تسند قيام الحكم الاسلامي ، ثم تسند استمراره في الوجود بعد قيامه ؟ انقلاب عسكري يحل البرلمان ، ويقبض على اعضائه فيودعهم السجون والمعتقلات وينتهي كل شيء في لحظات :انه تفكير سباح رغم كلما يقدم له من

المبررات ، وفوق ذلك فهو يحتوى على مزالق خطيرة تصيب الدعوة في الصميم وتعوقها كثيرا على الرغم مما يبد لاول وهلة من انها تمكن لها في التوبة وتعجل لها الخطوات .

المزلق الاول : هو المزلق العقدي :

فكيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه بالتحاكم الى شريعة الله وحدها دون سواها والذي يقول له دينه ان كل حكم غير حكم الله هو حكم جاهلي لايجوز قبوله ولا الرضى عنه ولا المشاركة فيه ، كيف يجوز له ان يشارك في المجلس الذي يشرع غير ما انزل الله ويعلن بسلوكه العملي- في كل مناسبة -انه يرفض التحاكم الى شريعة الله ؟ كيف يجوز له ان يشارك فيه ، فضلا عن ان يقسم يمين الولاء له ويتعهد بالمحافظة عليه ، وعلى الدستور الذي ينبثق عنه ، الله سبحانه يقول (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخضوا في حديث غيره انكم اذ مثلهم) وهؤلاء حديثهم الدائم هو مخالفة شريعة الله والاعراض ولا حديث لهم غيره ينتظره المنتظر حتى يخوضوا فيه ، فكيف اذ ن يقعد معهم ؟!

كلما يقال من مبررات: اننا نسمعهم صوت الاسلام .. اننا نعلن رفضنا المستمر للتشريع بغيرما انزل الله .. اننا نتكلم من المنبر السمي فندعوا الى تحكيم شريعة الله.. كل ذلك لايبرر تلك المخالفة العقيدية الواضحة.. يقولون .. الم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يذهب الى قريش بندوتها ليبلغها كلام الله ؟بلى ! كان يذهب اليهم في ندوتهم لينذرهم .. ولكنه لم يكن يشاركهم في ندوتهم ! ولو ان مسلما يدعوا الى تحكيم شريعة الله ، استطاع ان يذهب الى ندوة الجاهلية المعاصرة. ويسمح له بالكلام فيها كما كانت تسمح الجاهلية الاولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكان واجبا عليه ان يذهب وان يبلغ ، لانه في هذه الحالة لايكون عضوا في الندوة ، انما هو داعية من خارجها ، جاء يدعوها الى اتباع ما انزل الله فلا الندوة تعتبره منها ولا هو يعتبر نفسه من الندوة..انما هو مبلغ جاء يلقي كلمته ثم يمضي ، اما المشاركة في عضوية الندوة بحجة اتاحة الفرصة لتبليغها كلمة الحق . فامر ليس له سند من دين الله !

المزلق الثاني هو تمييع القضية بالنسبة « للجماهير »:

اننا نقول للجماهير في كل مناسبة ان الحكم بغير ما انزل الله باطل ، وانه لاشرعية الا للحكم الذي بشريعة الله .. ثم تنظر الجماهير فترانا قد شاركنا فيما ندعوها هي لعدم المشاركة فيه فكيف تكون النتيجة ؟! وذاكنا نحن نجد لانفسنا المبررات للمشاركة في النظام الذي نعلن للناس انه باطل فكيف نتوقع من لجماهير ان تمنع عن المشاركة . وكيف تنشأ القاعدة الاسلامية - التي يقوم عليها الحكم الاسلامي . القاعدة التي ترفض كل حكم غير حكم الله ، وترفض المشاركة في كل حكم غير حكم الله.

اننا نحسب اننا بدخولنا البرلمانات نقوم - بعمل - ييسر قيام - القاعدة الاسلامية - الانه يدعوا اليها من فوق المنبر الرسمي، الذي له عند الناس رنين مسموع ، ولكننا في الحقيقة نعوق قيام هذه القاعدة بهذا التمييع الذي نصنعه في قضية الحكم بما انزل الله .. فلا يعود عند الجماهير تصور واضح للسلوك - لاسلامي - الواجب في هذه الشؤول..ولن تتكون القاعدة بالحجم المطلوب لقيام الحكم الاسلامي حتي ينضج وعي الجماهير .وتعلم علم اليقين ان عليها - عقيدة - ان تسعى لاقامة حكم الاسلام وحده دون اي حكم سواه، وان لاتقبل وجود حكم غير حكم الله .

المزلق الثالث:

ان لعبة- الدبلوماسية - كما اثبتت تجارب القرون كلها لعبة ياكل القوي فيها الضعيف ولايتاح للضعيف من خلالها ان- يغافل- القوي فينتزع من يده شيئا من السلطان ! والقوي والضعيف- في لعبة الدبلوماسية - لاعلاقة لها بالحق والباطل !ولاعلاقة لهابالكثرة والقلة! فالاقلية المنبوذة من الشعب المكروهة منه التي تسندها من الداخل القوة العسكرية ، وتسندها من الخارج احدى القوى الشيطانية الموجودة اليوم في الارض ،ولو لم يكن لها انصار .. والاكثرية المسحوقة المستضعفة هي الضعيفة ولوكانت تمثل اكثرية السكتان !.

ومن ثم فالجماعات الاسلامية- الداخلة في التنظيمات السياسية لاعداء الاسلام - هي الخاسرة في لعبة الدبلو ما سية ولاعداء هم الكاسبون ! سواء بتنظيف سمعتهم امام الجماهير بتعاون الجماعات الاسلامية معهم او تحالفها معهم او اشتراكها معهم في اي امر من الامور ، او بتمييع قضية الاسلاميين في نظر الجماهير . وزوال تفردهم وتميزهم الذي كان لهم يوم ان كانوا يقفون متميزين في الساحة ، لايشاركون في جاهلية السياسة من حولهم ، ويعرف الناس انهم اصحاب قضية اعلى واشرف واعظم من كل التشكيلات السياسية الاخرى التي تريد الحياة الدنيا وحدها و تتصارع وتتكالب على متاع الارض.. ولا تعرف في سياستها الاخلاق الاسلامية ولا المعاني الاسلامية .. فضلا عن مناداتها بالشعارات الجاهلية .واعراضها عن تحكيم شريعة الله ...ولم يحدث مرة واحدة في لعبة الديبلوماسية ان استطاع المستضعفون ان يديروا دفة الامور من داخل التنظيمات السياسية التي يديرها اعداؤهم لان - الترس -الواحد لايتحكم في دوران العجلة ولكن العجلة الدائرة هي التي تتحكم في - التروس -!

وما يبحدث ثمن اصلاحات جزئية عارضة في بعض نواح الحياة على يد- الاسلاميين - لاتطبيقه الجاهلية ولا تصبر عليه وسرعان ما تمحوه محوا وتبطل أثره .. وتظل الاثار السيئة التي ينشئها تمييع القضية باقية لا تزول وشرها اكبر بكثير من النفع الجزئي الذي يتحقق بهذه المشاركة ، حتى لكأنما عليه قوله تعالى (فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) ( ) .

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
-المقدمة	أ
- المدخل	١
-الباب الاول :الصحوة الاسلامية الحديثة	٩
-الفصل الاول: الصحوة الاسلامية الحديثة النشأة والتطور	١١
-الفصل الثاني: الاتجاهات الفكرية داخل الصحوة	٢١
-الباب الثاني :الصحوة الاسلامية في موريتانيا	٢٩
-الفصل الاول :الجذور التاريخية للصحوة في موريتانيا	٢٩
-المبحث الاول :الاسلام السياسي والجهادي	٣٠
-المبحث الثاني :الاسلامي الثقافي والفكري	٣٤
-الفصل الثاني : الصحوة في دولة الاستقلال	٣٩
-المبحث الاول : الحالة العامة لدولة الاستقلال	٣٩
-المبحث الثاني: الحالة الاسلامية في دولة الاستقلال	٤٣
-المبحث الثالث :الصحوة الاسلامية في موريتانيا النشأة والتطور	٤٦
-المبحث الرابع: الصحوة الاسلامية الافكار والمنطلقات	٥٤
-المبحث الخامس:الصحوة الاسلامية في الميزان	٦١
-الخاتمة :	٧٥

فهرس الملحق

-المطلب الاول :بيان حكم من لم يحكم بما انزل الله	١
-المطلب الثاني :حكم الاسلام في الديمقراطية والعلمانية	٥
-المطلب الثالث حول الدستور الموريتاني	٧

فهرس الايات

الاية	السورة	الصفحة
٦٠	النساء	٨ من الملحق
٤٤	المائدة	٢ من الملحق
٥٠	المائدة	٢
٢٧	هود	٧٤
٩	الاسراء	٢ من الملحق
٢٦	الكهف	٧٤
١	عبس	